مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي

أ.م.د. شيماء ياسين طه الرفاعي[1]
shaima.yaseen78@gmail.com

الملخص

لقد جاء إختيار بحثنا هذا الموسوم ب: (تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي) ليسلط الضوء على النّفس وأحوالها، فيقف على المحمودة منها وكيفية الوصول إليها، والثبات عليها، ويرصد المذمومة منها، وكيفية تقويمها، وأساليب الوقاية منها، وهذا كله بإطار إسلامي من نهج القرآن والسنة .. وأهمية الموضوع: تظهر من خلال الأثر البالغ في تقويم النّفوس على الفرد ذاته وعلى المجتمع من حوله، وللحد من أمراض النفوس التي تتآكل بسببها أسباب الراحة، وتقضي على العيش الآمن في المجتمع .. أما في منهج البحث فقد اعتمدت فيه على البحث والتقصي للنفس بموضوعية استقرائية قائمة على رصد الحالة والوقوف على أساليب علاجها وتطبيقات ذلك من النصوص الشرعية، مع الاستشهاد بما قاله العلماء في ذلك من المصادر المعتمدة من كتبهم ..وكان من أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج هي :

1. إن لفظ (تقويم) أصله الإستقامة، ومعانيه متنوعة؛ وهي تناسب الموضوع؛ فهي إعتدال النفس، والمحافظة على اتزانها، وثقافها بتقويم اعوجاجها، وتوجيهها إلى جادة الصواب، وحملها على العدل، والإخذ بها إلى تمام أمرها، والسير بها على النظام، وثباتها على الصلاح والخير .
2. من أساليب التقويم للنّفس الإنسانية في الإسلام ما شرعها الله سبحانه لتكون في أركان الدين الخمسة روحاً وعملاً .
3. على السالك في طريق تقويم نفسه ضرورة الإلتزام بالاعتدال في ذلك؛ بما لا يؤدي بالنّفس إلى إرهاقها ولا يصل بها إلى السّامة والملل .
4. تقويم النفوس بشرع الله وقيم الإسلام؛ يمثل بنيان متين لقيام مجتمع إسلامي متماسك يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والقيم السامية.

الكلمات المفتاحية: تقويم، النفس، المحمودة، المذمومة

---

[1] الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات بغداد - العراق.

Evaluating the human psyche in the Islamic perspective

A.M.D. Shaima Yassin Taha Al-Rifai[2]
shaima.yaseen78@gmail.com

Abstract

The choice of our research entitled: (Evaluating the human soul in the Islamic perspective) came to shed light on the soul and its conditions, so it identifies the praiseworthy parts and how to reach them and remain steadfast in them, and monitor the reprehensible ones, how to evaluate them, and methods of preventing them, and all of this within an Islamic framework of the approach. The Qur'an and the Sunnah... and the importance of the topic: It appears through the profound impact it has on the individual himself in improving souls
And on the society around him, and to reduce the diseases of the souls that erode the means of comfort and eliminate safe living in society.. As for the research method, I relied on research and investigation of the soul with inductive objectivity based on monitoring the condition and finding out the methods of treating it and the applications of that from the legal texts. Citing what the scholars said about this from the approved sources in their books...and among the most important results that the research yielded were:

1. The word (correction) has its origin in uprightness, and its meanings are diverse. It fits the topic; It is moderating the soul, maintaining its balance, educating it by correcting its crookedness, directing it to the right path, making it follow justice, taking it to the completion of its purpose, following the system, and making it steadfast in righteousness and goodness.

Iraqi University/College of Education for Girls Baghdad - Iraq[2]

2. Among the methods of correcting the human soul in Islam are what God Almighty has prescribed so that it is part of the five pillars of the religion in spirit and action.
3. The one who is on the path to improving himself must adhere to moderation in this matter. In a way that does not lead to exhaustion and does not lead to toxicity and boredom.
4. Evaluating souls according to God's law and the values of Islam; It represents a solid foundation for the establishment of a cohesive Islamic society that aims to spread virtuous morals and lofty values.

Keywords: evaluation, self, praiseworthy, blameworthy

المقدمة

الحمد لله خالق الأنفس والعالم بما في سرها ونجواها، الملهم لفجورها وتقوّاها، والمتجاوز عما همّ فيها، والمحاسب على ما كان من فعلها وأقوالها، والمنعم على من زكّاها، والمعاقب لمن تركها لهواها، خالق الموت حق عليها ليجزي كل نفسٍ أجرها ويرد عليها ظلمها، والصلاة والسلام على أزكى وأطهر خلق الله سيدنا محمد الهادي لنفوس العباد بالقرآن والسنة، وعلى آله الطيبين الطاهرين سادات الدنيا وأهل الفردوس الأعلى المهديين بالحق المبين، وعلى أصحابه أعلام الأرض وأركان الحق ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. أمّا بعد ..

فلمّا خلق الله الأرض وجعل الإنسان خليفة عليها ليعمرها ويعبد فيها سبحانه، أنزل الله شرعاً ومنهاج حياة حتى لا يترك الإنسان لنفسه وهواه، فكان حتماً على النفوس أن يستقيم عملها على وفق ما أراده الله من الإنسان في ذات نفسه ومع الآخرين في مجتمعه، لذلك جاء إختيار بحثنا هذا الموسوم بـ: (تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي) ليسلط الضوء على النّفس وأحوالها، فيقف على المحمودة منها وكيفية الوصول إليها، والثبات عليها، ويرصد المذمومة منها، وكيفية تقويمها، وأساليب الوقاية منها، وهذا كله بإطار إسلامي من نهج القرآن والسنة .. وأهمية الموضوع: تظهر من خلال الأثر البالغ في تقويم النّفوس على الفرد ذاته وعلى المجتمع من حوله، وللحد من أمراض النفوس التي تتآكل بسببها أسباب الراحة، وتقضي على العيش الآمن في المجتمع .. أما في منهج البحث فقد اعتمدت فيه على البحث والتقصي للنفس بموضوعية استقرائية قائمة على رصد الحالة والوقوف على أساليب علاجها وتطبيقات ذلك من النصوص الشرعية، مع الاستشهاد بما قاله العلماء في ذلك من المصادر المعتمدة من كتبهم .. أما خطة البحث: فقد اقتضت تقسيمه على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة؛ كان المبحث الأول منها في تعريف التقويم، وبيان الألفاظ ذات الصلة بمعناه في النصوص الإسلامية، والمبحث الثاني في ماهية النّفس الأنسانية، والمبحث الثالث في مراتب النّفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم، والمبحث الرابع في أساليب تقويم النّفس الإنسانية في الإسلام ، وبيان أثر ذلك على الفرد والمجتمع ..

وبقي لزاماً عليَّ أن أقول أن هذا ما مكنني منه جهدي المتواضع فما أصبت فيه فمن الله وبركاته، وما أخطأت به فمن عند نفسي وأسال الله فيه العفو والمغفرة ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول

مفهوم التقويم، وبيان الألفاظ ذات الصلة بمعناه في النصوص الإسلامية

المطلب الأول

معنى التقويم في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى التقويم في اللغة،

التقويم في اللغة، مصدر مشتق من الفعل (قوّم)، وهو في اللغة على عدة معانٍ[3]؛ أذكر منها:

1- الإعتدال والاستواء: يقال، أقيم الشيء؛ أي: إعتدل واستوى[4] .

2- الإستقامة: يقال: أقمتُ الشيءَ وقوّمتهُ؛ أي: استقام[5] .

3- الإتزان: قال أبو إسحاق: إستقام الشعرُ وقوّمتهُ؛ أي: اتزن[6] .

4- الثقاف[7]: ومنه حديث السيدة عائشة تصف أباها، - رضي الله عنهما- : (وأقام أوّده بثقافه)[8]؛ أي: تَقويم المُعوَج[9].

---

[3] ينظر: لسان العرب: (224/12) .

[4] المصدر نفسه.

[5] تهذيب اللغة للأزهري: (291/3)

[6] لسان العرب: (224/12).

[7] الصحاح: (216/5) .

[8] في الحديث: (بلَغ عائشةَ أن ناسًا ينالون من أبي بكرٍ فبعَثَت إلى أَزْفَلةٍ منهم فسدَلَتْ أستارَها وعذَلَت وقرَّعَت وقالَت أبي وما أبيه أبي لا تُعطُوه الأيدي هيهاتَ واللهِ ذاك طَوْدٌ مَنيفٌ وظِلٌّ مَديدٌ أنجَح واللهِ إذ أكدَتيم وسبَق إذ وَنَيْتُم سبَق الجوادَ إذا استولى على الأمدِ فتى قريشٍ ناشئًا وكهفها كهلًا يفُكُّ عانيَها ويَرِيشُ مُمْلِقَها ويرأَبُ روعَها ويلُمُّ شعثَها حتَّى حلِيَتْه قلوبُها ثُمَّ استشرى في دينِه فما برحَتْ شكيمتُه في ذاتِ اللهِ حتَّى اتَّخَذ بفنائِه مسجدًا يُحْيِي فيه ما أمات المُبطِلونَ وكان رحِمه اللهُ غزيرَ الدَّمعةِ وَقِيدَ الجوانحِ شجيَّ النَّشيجِ فأصفَقَتْ إليه نِسوانُ مكَّةَ وولدانُها يسخَرونَ منه ويستهزِؤون به {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} فأكبَرَت ذلك رجالاتُ قريشٍ فحنَت قِسِيَّها وفوَّقَت سهامَها وامتثَلوه غرضًا فما فلُّوا له صفاةً ولا قصَفوا له قناةً ومرَّ على سِيسائِه حتَّى إذا ضرَب الدِّينُ بجِرانِه وألقى بَرْكَه ورسَت أوتادُه ودخَل النَّاسُ فيه أفواجًا ومن كلِّ فرقةٍ أرسالًا وأشتاتًا اختار اللهُ لنبيِّه ما عندَه فلما قبَضه اللهُ عزَّ وجلَّ ضرَب الشَّيطانُ رِواقَه ونصَب حبائلَه ومدَّ طُنُبَه وأجلَب بخَيْلِه ورَجْلِه فاضطَرَب حبلُ الإسلامِ ومرَج عهدُه وماج أهلُه وعاد مَبْرِمُه أنكاثًا وبغى الغوائلُ وظنَّتِ الرِّجالُ أن قد أكثَبَتْ أطماعُهم ولاتَ حينَ يرجِعونَ وأنا والصِّدِّيقُ بينَ أظهرِهم فقام حاسرًا مشمِّرًا فرقع حاشيتَه وجمَع قرطته فردَّ ينشُرُ الإسلامَ على غِرَّةٍ ولمَّ شعثَه بطَيِّه وأقام أَوْدَه بثِقافِه فابدَعَر النِّفاقُ بوطأتِه وانتاش الدِّينُ بنعشِه فلمَّا راح الحقُّ على أهلِه وأقَر الرُّؤوسَ على كواهلِها وحقَن الدِّماءَ في أَهَبِها حضَرَت منيَّتُه فسدَّ ثُلْمَتَه بشقيقِه في المرحمةِ ونظيرِه في السِّيرةِ والمعدَلةِ ذاك ابنُ الخطَّابِ للهِ أمٌّ حمَلَت به ودرَّت عليه لقد أوحَدَت به ففتَح الكفرةِ وذَيْخَها وشرَّد الشركَ شذَرَ مذَرَ وبعَج الأرضَ فقاءَت أكلَها ولفِظَت خبيئَها ترأَمُه ويصدِفُ عنها وتصدَّى له ويأباها ثُمَّ ورِع فيها ثُمَّ تركَها كما صجِيها فأروني ماذا تقولونَ وأيُّ يومَيْ أبي تنقِمونَ أيومَ إقامتِه إذ عدَل فيكم أو يومَ ظعنِه إذ نظَر لكم أقولُ قولي هذا وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم)، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب خطبة عائشة – رضي الله عنها – الجزء 23، صفحة 184، رقم الحديث: 300 .

[9] النهاية في غريب الحديث: (80/1) .

5- السداد والصواب[10]: ومنه قوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [11]؛ أي: أسد وأصوب[12] .

6- العدل: يقال: فلان أقوم كلاماً من فلان؛ أي: أعدل كلاماً[13]، ومنه قوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ [14]؛ أي: النفقة بالعدل[15].

7- الحسن والتمام: يقال، رجل قويم وقوام؛ أي: حسن القامة وتمام الجسم[16].

8- النظام والعماد: يقال، هذا قِوام الأمر ومِلاكه؛ أي: نظامه وعماده[17].

9- الثبات[18]:ومنه قوله تعالى: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ [19]؛ أي:ثابتة على الحق[20].

وقال الجوهري: (قومت الشيء فهو قويم، أي: مستقيم، وقولهم: ما أقومه شاذ، قال ابن بري: يعني كان قياسه أن يقال فيه ما أشد تقويمه; لأن تقويمه زائد على الثلاثة، وإنما جاز ذلك لقولهم: قويم، كما قالوا ما أشده وما أفقره، وهو من اشتد وافتقر؛ لقولهم شديد وفقير)[21].

ومما تقدم نجد أن لفظ (تقويم) أصله الإستقامة، ومعانيه متنوعة؛ وأنّ منها ما يناسب موضوعنا كالاعتدال، والاتزان، والثقاف، والصواب، والعدل، والتمام، والنظام، والثبات؛ من حيث:أنّ في التقويم-وعلى التوالي-: إعتدال النفس، والمحافظة على اتزانها، وثقافها بتقويم اعوجاجها، وتوجيهها إلى جادة الصواب، وحملها على العدل، والإخذ بها إلى تمام أمرها، والسير بها على النظام، وثباتها على الصلاح والخير .

ثانيا: معنى التقويم في الاصطلاح،

عُرّف التقويم بمعناه الاصطلاحي بحسب موضوعاته بتعريفات متنوعة؛ منها:

- تعريف التقويم بأنه:(تحديد الشيء وتعيينه وإعادة توجيهه من حال إلى حال)[22].

- وعرفوه أيضاً بأنه: (القدرة بالحكم على قيمة الشيء أو المادة لغرض معين)[23].

---

[10] لسان العرب: (12/ 224) .

[11] سورة الإسراء: آية 9 .

[12] تفسير القرطبي: (10/ 203) .

[13] تهذيب اللغة: (291/3) .

[14] سورة الفرقان: آية 67 .

[15] ينظر: تفسيرإبن كثير: (365/25) .

[16] تهذيب اللغة: (291/3) .

[17] لسان العرب: (12/ 224) .

[18] المصدر نفسه .

[19] سورة آل عمران: من آية 113 .

[20] تفسير الطبري: (64/3) .

[21] لسان العرب: (224/12) .

[22] مفسر المفاهيم الأساسية، لإدريس بو خصيمي، جامعة لافال، كندا، الطبعة الأولى لسنة 1996م ، ص 24.

[23] أساسيات القياس والتقويم في التربية، لماجد الخياط، عمان- الأردن، للعام 2009م، ص35 .

- وقالوا هو: (تقدير الشيء وإعطاؤه قيمة ما، والحكم عليه وإصلاح اعوجاجه)[24].

- وعرّف محمد رفعت التقويم: (عملية تقدير أو وزن أو حكم على قدر الأشياء وهي عملية ترتبط أساسا بموضوع القيم)[25].

- وقالوا أيضاً: (التقويم عملية التأكد من قيمة الشيء وتثمينه بعناية، بحيث يكون الحكم الصّادر على قيمة الأشياء أو الموضوعات أو المواقف أو السّلوكات أو الأشخاص مستنداً إلى معايير معينة)[26].

- وعرّف وهيب سمعان التقويم: (عملية تتضمن التغيرات السلوكية الفردية والجماعية والبحث في العلاقة بين هذه التغيرات وبين العوامل المؤثرة فيها)[27].

- وعرّفه أصحاب التقويم التربوي بأنه: (تقدير مدى صلاحية أو ملاءمة شيء في ضوء غرض ذات صلة، أي أن التقويم يستهدف اتخاذ قرار حول ملائمة أو صلاحية العمل التربوي لتحقيق غرض أو أغراض تربوية)[28].

- وعرّفه أهل القياس بأنه: (عملية منهجية منظمة مخططة تتضمن إصدار الأحكام على السلوك أو الفكر أو الوجدان أو الواقع المقيس المراد تقويمه ، وذلك بعد موازنة المواصفات، والحقائق لذلك السلوك أو الواقع التي تم التوصل إليها عن طريق القياس مع معيار جرى تحديده بدقة ووضوح)[29].

ومما تقدم نجد بأن تعريف التقويم المناسب لموضوعنا هو :(تقدير الشيء وإعطاؤه قيمة ما، والحكم عليه وإصلاح إعوجاجه)؛ لأنه يقف على حيثية الشيء ويقدره ويحكم عليه بما يصلحه ويعيده مساره الصحيح، وهو غاية أمرنا في مضمون بحثنا لتقويم النفس الإنسانية وفق مسار العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني

الألفاظ ذات الصلة بمعنى التقويم

للتقويم في اللغة ألفاظ توافق معناه، وفي العقيدة والشرع ما يتصل بمصطلح التقويم في القصد والغاية؛ منها:

---

[24] التقويم التربوي، مفهومه، واهميته، د. إسماعيل دحدي، د. مزياني الوناس، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة القاصدي-الجزائر، العدد31 لعام 2017م، ص116 .

[25] تقويم مشروعات تنمية المجتمع المحلى، نماذج وحالات تطبيقية، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , 1999م، ص 139،

[26] ينظر: تقويم المناهج التعليمية، لعاطف محمود، لسنة 2005م، ص4، ومقال مفهوم التقويم الإداري؛ على الرابط: https://www.startimes.com/f.aspx?t=18900090

[27] دراسات في المناهج، لوهيب سمعان، القاهرة-مصر، ص278 .

[28] التقويم التربوي للمنظومة التعليمية ، اتجاهات وتطلعات، لمحمد عبد السميع الجميل شعلة، دار الفكر العربي، عمان، الأردن، لسنة2005م، ص12 .

[29] التصميم التعليمي نظرية وممارسة، لمحمد محمود الحيلة، دار المسيرة، عمان- الأردن، لسنة1999م، ص : 402 .

1- **التهذيب؛**

وهو في اللغة: التقويم والإصلاح؛ يقال: هذّب الشيء؛ أي: أصلحه وأخلصه، وتهذيب الغلام؛ أي: تقويم فكره ونفسه وسلوكه [30].

وفي الاصطلاح: (تقويم السلوك الإنساني وإكساب الإنسان صفات خلقية حميدة هو الغرض الأسمى والهدف الأول من التربية الإسلامية، فالعناية بتهذيب الأخلاق وتحقيق أهدافها هي الغاية الأساسية على طريق سعادة الفرد والمجتمع)[31]، فلفظ التهذيب مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قول إبن سينا في النفس والحكمة:

هذِّب النّفس بالعُلوم لتَرقَى	وذر الكلّ فهي للكل بيتُ
إنما النفسُ كالزجاجةِ والعلمِ	سراجٌ وحكمةُ اللهِ زيتُ
إذا أشرقتْ فإنَّكَ حيٌّ	وإذا أظلمتْ فإنك مَيتُ [32]

2- **التزكية؛** وهو **في اللغة**: من الفعل زكى يزكي تزكية؛ معناه التطهير والصلاح، ويقال: تزكى بالمال وزكاه؛ لأنه تطهير وصلاح[33] .

وفي الاصطلاح: (تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها، وبلوغها درجة الإحسان)[34]، أو (تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصلاح)[35] ، فلفظ التزكية مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ منه قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ [36]؛ أي: أصلحها وطهرها[37]، وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا [38]؛ **أي:** يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح[39].

---

[30] لسان العرب: (15/ 4 5) .

[31] كتاب طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها، عبد الرشيد عبد العزيز سالم، ص201 .

[32] القصيدة المزدوجة، لإبن سينا: ص34 .

[33] ينظر: لسان العرب: (358/14) .

[34] منهج الإسلام في تزكية النفس، للدكتور أحمد كرزون: (5/1) .

[35] مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، لنايف الشريف: ص ٢١٩.

[36] سورة الشمس: أية 9 .

[37] تفسير الطبري: (457/24) .

[38] سورة النساء: آية 49

[39] تفسير البغوي: (644/1) .

3- **الترويض**؛ وهو في **اللغة**: التعليم والمداراة[40].

وفي الاصطلاح: (تهذيب الأخلاق النفسية وتمحيصها ..عن خلطات الطبع والنزعات)[41]، ويأتي الترويض من كثرة استعمال النفس؛ لتسلس، ثم استعمل لتهذيب الأخلاق النفسية، وهو ما يعرف عند أهل الحق، رياضة الأدب والطلب بالخروج عن طبع النفس، وصحة المراد به[42] .

فهو مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قول الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه الشريف-: (وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الاَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ)[43]؛ أي: إصلاح النفس وتطويعها بالتقوى[44].

4- الإصلاح؛ وهو في **اللغة**: مأخوذ من الفعل صلح يصلح، وهو نقيض الفساد، فيأتي بمعنى الاستقامة في النفس والأفعال، وأصلح الشيء؛ أقامه[45]،

والصلاح :الحصول على الحالة المستقيمة النافعة، والإصلاح جعل الشئ على تلك الحالة، يقال: رجل صالح في نفسه، ومصلح في أعماله[46]،

وفي الاصطلاح:

الإصلاح هو: (إقامة الشيء وتغيير ما به من اعوجاج، والإحسان فيه)[47]، ويكون ذلك بـ(إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد)[48]،والصلاح:(استقامة الحال وانعدالها، وهو مما يفعله العبد لنفسه،فالصلاح يخص الفرد في ذاته،أما الإصلاح فمتعدٍ، يصلح العبد نفسه، ثم يسعى في إصلاح غيره)[49]،فهو مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قوله تعالى: إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ [50]، أي: أصلحكم بالنصيحة والموعظة

---

[40] لسان العرب: (162/7)، ومعجم مقاييس اللغة: (2/ 459) .

[41] التعريفات للجرجاني: ص151 .

[42] التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1410هـ، ج1، ص 380.

[43] نهج البلاغة، لصبحي الصالح، ص417 .

[44] ينظر: مجمع البحرين: ص212 .

[45] ينظر: لسان العرب: (516/2)، ومقاييس اللغة: (303/3) .

[46] ينظر: العين، الفراهيدي ١١٧/٣

[47] الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان، ص٩٥-٩٦.

[48] القاموس الفقهي، لسعدي أبي جيب، ص٢١٥.

[49] ينظر: الفرق اللغوية، العسكري ص٣١٧.

[50] سورة هود: آية 88 .

بما يوفقني الله فيه من الاصلاح، تقويما للناس بالعدل وسلوك طريق الرشاد[51]، ومن المأثور: (لا تترك الاجتهاد في إصلاح نفسك فإنه لا يعينك عليها إلا الجد[52] .. وأعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه[53]).

5- المجاهدة؛ وهي في **اللغة** مشتقة من الجهد الذي يدل على المشقة المبالغة[54]، والشدة في ذات الشيء أو في التعامل معه ومعالجته[55]، وفي **الاصطلاح**: المجاهدة: (محاربة النفس الأمارة بالسوء، بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع)[56]، فهي فطم النفس وحملها على خلاف هواها المذموم في عموم الأوقات، وإلزامها بشرع الله سبحانه أمراً ونهياً[57]، فهو مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قوله تعالى : وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [58]؛ جاء في تفسيرها: (جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظَّلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم)[59].

6- التطهير، وهو في اللغة: التنظيف والتنقية، يقال: طَهّر الشخص من الرجس؛ إذا نظفه ونقّاه من الوسخ[60]، ويأتي بمعنى التنزيه والتبرئة؛ يقال: طهّر الشيء؛ إذا برأه ونزهه من العيوب وغيرها[61]، أما في الاصطلاح؛ فالتطهير هو (تزكية النفس والسمو الخُلقي بالابتعاد عن الرذيلة والتزام الفضيلة، والاعتقاد في عدم الشرك بالله جل وعلا والالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والانتهاء بنواهيه)[62]، فهو الطهارة المعنوية المقصود بها: (نظافة القلب من الشرك, وتحليته بالعقيدة والتوحيد الخالص والتعبد لله تعالى، والنزاهة في السلوك والأخلاق، والبراءة من العيوب، والرذيلة والخلوص من الأدناس المعنوية؛ كالحسد والبغضاء والحقد)[63]، فالتطهير بمعناه هذا على صلة بالتقويم؛ ومنه قوله تعالى: فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [64]؛ أي: التنزه من الشرك، والأخلاق الرذيلة[65] .

---

[51] روح البيان: ج4، ص134

[52] غرر الحكم ودرر الكلم: ص237

[53] مستدرك الوسائل: ج11 ص324

[54] ينظر: لسان العرب: (4/ 107) .

[55] ينظر: مقاييس اللغة: (468/1) .

[56] التعريفات للجرجاني: 114.

[57] ينظر: الرسالة القشيرية: ص48، وحقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى، ص75 .

[58] سورة الحج: أية 78 .

[59] تفسير القرطبي: (369/13) ، وينظر: تفسير الفخر الرازي: (72/23) .

[60] ينظر: لسان العرب: (504/4) .

[61] ينظر: المصباح المنير : (379/2) .

[62] الطهارة بين القرآن والفقه، لرضا عبد الرحمن علي العدد3707لسنة 2012م، مقال على الشبكة العنكبوتية: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=304802

[63] كتاب مذكرة القول الراجح مع الدليل، لخالد بن إبراهيم الصقعبي، ص1 .

[64] سورة التوبة: آية 108

[65] تفسير السعدي: ص352 .

المبحث الثاني

ماهية النّفس الإنسانية

المطلب الأول

معنى النّفس في اللغة والاصطلاح

أولاً: النّفس في اللغة:

النّفس لفظ مشتق من الفعل (نَفَسَ)، وجمعها أنْفُس ونُفُوس، وهي في اللغة على على عدة معانٍ[66]؛ نذكر منها:

1- الروح، يقال: فاضت نفسه؛ أي خرجت روحه[67] .

2- حقيقة الشيء وذاته، يقال: رأيت فلاناً نفسه؛ أي: ذاته[68] .

3- عين الحسد، يقال: أصابته نفس؛ أي عين[69] .

4- الدم، يقال سالت نفسه؛ أي: دمه[70] .

5- الأخوة والأهل[71]، ومنه قوله تعالى: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ [72]؛ أي: على أهليكم[73].

6- العَظَمة والكِبر، يقال: تعالت نفسه؛ إذا عظمت وتكبرت[74] .

7- العاطفة، يقال: ضبط نفسه؛ أي: سيطر على عواطفه[75] .

8- الضمير[76]، ومنه قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ [77]؛ أي في ضمائرهم[78] .

9- الجلَّد والخُلُق، يقال: فلان ذو نفس؛ أي: ذو جلّد وخُلُق[79] .

---

[66] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[67] ينظر:المعجم الوسيط: (940/2) .

[68] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[69] ينظر:المعجم الوسيط: (940/2) .

[70] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[71] ينظر: تاج العروس: (259/4) .

[72] سورة النور: من آية 61 .

[73] ينظر: تفسير أحكام القرآن لابن عربي: (427/3) .

[74] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[75] ينظر: المصدر نفسه.

[76] ينظر: تاج العروس: (259/4) .

[77] سورة البقرة: من آية 235 .

[78] تفسير إبن كثير: (38/2) .

[79] المعجم الوسيط: (940/2) .

10- الرّوع والمراد، يقال: في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا؛ أي: في روعه[80] .

11- الإنسان[81]، ومنه قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [82]؛ أي: من آدم .عليه السلام[83] .

12- البُعد والوَسَع، يقال: هذا المكان أنفس من هذا؛ أي: أبعد وأوسع[84] .

13- الفَرَج[85]، ومنه حديث: (من نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة)[86]؛ أي: فرّج عنه[87] .

14- العقل، ومنه توفي نفس النائم إذا نام؛ أي: النفس التي بها العقل ؛ أي: نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها[88] .

15- الإمتداد والزيادة[89]، ومنه قوله تعالى: وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [90]؛ أي: امتد وزاد[91].

16- الإباء والأنفة، يقال: هذا من عزة النفس؛ أي الأنفة والإباء[92] .

17- العقوبة[93]، ومنه قوله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ [94]؛ أي: عقوبته[95] .

18- جنس النوع[96]،ومنه قوله تعالى: بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ [97]؛ أي: من جنسهم[98] .

---

[80] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[81] ينظر: تاج العروس: (4/259) .

[82] سورة الأعراف: من آية 189 .

[83] تفسير الطبري: (21/255) .

[84] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[85] ينظر: لسان العرب: (14/ 320)

[86] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ في الدنيا والآخرة ومن ستَرَ مُسلِمًا سترهُ اللهُ في الدنيا والآخرة واللهُ في عوْنِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عوْنِ أخيهِ ومن سلَكَ طريقًا يلتمسُ فيهِ علمًا سهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلى الجنة وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسونَهُ بينهم إلاَّ نزلتْ عليهمُ السكينةُ وغشيتهم الرحمةُ وحفَّتهم الملائكة وذكرهمُ اللهُ فيمن عندهُ ومن بطَّأَ بهِ عملُهُ لم يُسْرِعْ بهِ نسبُهُ)، صحيح مسلم: (2/583 رقم الحديث2699).

[87] شرح الأربعين النووية للنووي: ص 96 .

[88] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[89] ينظر: تاج العروس: (4/259) .

[90] سورة التكوير: من آية 18 .

[91] تفسير القرطبي: (19/203) .

[92] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[93] ينظر: تاج العروس: (4/259) .

[94] سورة آل عمران: من آية30 .

[95] تفسير إبن كثير: (3/54) .

[96] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[97] سورة آل عمران: من آية164 .

[98] تفسير إبن كثير: (1/114) .

19- القلب[99]، ومنه قوله تعالى: وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ [100]؛ أي: قلوبهم[101].

مما تقدم نجد أن النفس في أصل اللغة معانيها متنوعة؛ ومنها ما يناسب موضوع بحثنا: كحقيقة الشيء، والعَظَمة والكِبر، والعاطفة، والضمير، والخُلُق، والرّوع، والإنسان، والبعد والتوسع، والإباء والأنفة، والامتداد والزيادة والعقوبة؛ من حيث أن النفس .وعلى التوالي : هي حقيقة الإنسان، وما يصيبها من العَظَمة والكِبر، والعاطفة التي تسيطر عليه، وضميرها الحي، والخُلُق الواجب أن تتحلى به، ورّوعها المطمئن بالإيمان، والإنسان الذي يُقَيَم بها، والبعد بينها وبين السوء، والتوسع بصلاحها، والإباء عمّا يدنيها، والأنفة عمّا يحقرها، والامتداد في الخير، والزيادة من التنزيه، وعقوبتها إذا زلّت .

ثانياً: النّفس في الاصطلاح

تنوّع تعريف النّفس في الاصطلاح عند العلماء كل بحسب موضوعه؛ وكالآتي:

1. **أمّا النّفس في كتب المصطلح**، فقد عرّفها الجرجاني بأنها: (الجوهر اللطيف الحامل لقوة

الحياة والحس والحركة الإرادية)[102]، وعرّفها الكفوي بأنها: (الجوهر المفارق عن المادة في ذاته دون فعله، وهو على قسمين: نفس فلكية و نفس إنسانية، وعلى ما ليس بمجرّد بل قوة مادية وهو على قسمين أيضا: نفس نباتية و نفس حيوانية)[103]، وعرّفها المناوي بأنها: (جوهر مشرق للبدن ينقطع ضوءُه عند الموت من ظاهر البدن وباطنه)[104].

2. **وفي الفلسفة القديمة** : قال "أرسطو": (النّفس منبثقة في العالم، وكل فعلٍ إنّما هو من النّفس .إعرف نفسَك بِنفسِك.)[105]، وقال "سقراط": (النّفس تزكية الإحساس بطاقته وإمكانياته؛ لإستدراك فائدة الحكم الموضوعي المستند إليه هو ذاته)[106]، وقال "هيرقليطس": (النّفس هي القانون العقلي الكلي الذي يزيدها وينميها وفق احتياجاتها)[107]، وقال "أفلاطون": (النّفس فكر مجرد وجوهر الكائن وبعث الحياة فيه، وهي مبدأ الحياة والحركة للجسم وكلمة العقل الكلي وفعله)[108]، وعرّفها الفيثاغوريين: (هي المبدأ الذي تتحرك به الذرات، بحيث تكون النّفس مبدأ أو علة توافق الأضداد في البدن وعلة حركتها جميعاً)[109]، **وفي الفلسفة**

---

[99] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[100] سورة التوبة: من آية 118 .

[101] الكشاف للزمخشري: (218/2) .

[102] التعريفات: ص196 .

[103] كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (1713/2) .

[104] التوقيف على مهمات التعاريف: 328 .

[105] الموسوعة الفلسفية، روزنتال و بودين، ترجمة وتحقيق: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت سنة 1985م، ص546 .

[106] الفلسفة الإغريقية، لمحمد حديدي، الدار العربية، الطبعة الأولى، الجزائر سنة 2009م، ص121 .

[107] تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، دار القلم، بيروت، ص13 .

[108] سقراط مسألة الجدل، ثيوكاريس كيسيديس، ترجمة طلال السهيل، دار الفارابي، الطبعة الثالثة، بيروت سنة 2006م، ص167.

[109] جدل الحب والحرب، هيرقليطس، ترجمة مجاهد عبد المنعم، دار التنوير، الطبعة الأولى بيروت سنة 2008م، ص86 .

الحديثة : فقد عرّفها "ديكارت" بأنها: (جوهر خالص منفصل عن الجسم، وهي مصدر التفكير.أنا أُفكر إذاً أنا موجود)[110]، عرّفها "كارل" بأنها: (عبارة عن محتويات تتكوّن من أمور واعية وأخرى غير واعية)، وعرّفها "روجرز": (الشخص ذاته وكيفية تحديد سلوكه وعلاقته بالعالم)[111]، وعرّفها "بلاتو" و "كانْت": (هي الروح الخالدة والتي تتخطى المادة)، وعرّفها "ديفيد هيوم": (بأنّها ليست أكثر من مجموعة من التصورات)[112]، وعرّفها "لالاند" بأنها: (مبدأ الحياة والفكر أو كليهما معا؛ باعتبارها حقيقة متميزة عن الجسد الذي تظهر فاعليتها من خلاله)[113]، إذن النّفس في فلسفتهم إجمالاً تدور حول كونها؛ (مجردة وخارج نطاق التجربة وأزلية؛ لإعتقادهم بالثنائية بين النفس والبدن)[114] .

3. **وفي الفلسفة الإسلامية**؛ عرّفها الفارابي بأنها: (كمال أول للجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة)[115]، وعرّفها إبن سينا بأنها: (كمال أول لجسم طبيعي آلي له أن يفعل أفعال الحياة)[116]، وعرّفها الكندي بانها: (تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابل للحياة)[117]، وعرّفها إبن رشد بانها: (صورة لجسم طبيعي آلي مركب من مادة وصورة)[118]، إذن تعد النّفس الإنسانية عندهم إجمالاً امتداد للفكر الفلسفي القديم .الأفلاطونية الأرسطية.بوصفهم النّفس جسم طبيعي يتسم بالكمال وديمومة الحياة والبقاء والخلود، وجوهر روحي قائم بذاته يستحيل عليه العدم بعد الوجود[119].

4. **والنّفس عند الصوفية**؛ عرّفها الإمام الغزالي بأنها: (المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، أو أنها اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان وذاته)[120]، وعرّفها الألوسي بأنها: (الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد)[121]، وعرّفها الإمام إبن القيم: (جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير،

---

[110] Remé Descartes ,Les Passions De l'âme ,éditions l'odyssée ,Tizi-ouzou ,Alger, p 12. 1

وينظر: العقلانية جون كوتنفهام، ترجمة محمود الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق الطبعة الاولى سنة1997م، ص49.

[111] www.britannica.com, Retrieved 11-1-2018. ،The Editors of Encyclopædia Britannica, "Self"

[112] www.psychologytoday.com, Retrieved 11-5-2018. Edited. ،Paul Thagard Ph.D. (23-6-2014), "What Is the Self?"

[113] موسوعة لالاند الفلسفية، أندري لالاند، المد الأول، ترجمة أحمد خليل احمد، باريس الطبعة الثانية سنة 2001م، ص49 .

[114] النّفس الإنسانية عند أفلاطون، لمسلم حسن مهدي، جامعة رابة رين- رانية، ص14 .

[115] خطاب الفلسفة العربية الإسلامية- النشأة والتطور والنضوج-، لمحمد عبد الرحمن مرحباً،بيروت، مطبعة عز الدين لسنة1993م، ص142 .

[116] كتاب الإشارات لإبن سينا: ص123 ، وكتاب النفس لإبن سينا، تحقيق: إبراهيم مذكور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة لسنة 1975م، ص10 .

[117] موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية، الطبعة الأولى لسنة1987م ، بيروت- لبنان ،ص506 .

[118] تهافت التهافت، لإبن رشد، تحقيق: سليمان دينا، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة لسنة 1981م، ص833 .

[119] ينظر: المصدر نفسه: ص258، النفس في فلسفة إبن رشد، لمنى صالح شلغم، مجلة كلية الآداب، العدد29، للعام 2020م، ج2، ص143 .

[120] إحياء علوم الدين: (4/3) .

[121] روح المعاني:(17/ 46).

والتصريف)[122]وعرّفها الإمام القشيري بأنها: (ما كان معلولاً من أوصاف العبد، ومذموماً من أخلاقه وأفعاله؛ والمعلول منها بالذم إما مكتسب كالمعصية، أو مذموم في نفسه كالدناءة الفطرية)[123]، وقال التفتازاني فيها: (النّفس الإنسانية معرفة أخلاقها الذميمة وإحلال الأخلاق المحمودة محلها)[124]، وقال الهجويري: (النّفس هي أصل الشّر والصفات المذمومة)[125]، إذن تمثل النّفس الإنسانية عندهم: (كامل الإنسان وأخلاقه وسلوكه؛ فمعرفة النفس عندهم ترشد إلي كيفية تهذيبها، وفهم حقيقتها، فهي السبيل إلى الإيمان ومعرفة الله تعالى)[126].

5. وعند علماء النّفس؛ وصف "سيكموند فرويد" النّفس البشرية: (بثلاثة بنيات من حيث نشاط وتفاعل الحياة العقلية: أولها: الهُو؛ وهي مجموعة من الاتجاهات الغريزية غير المنسقة، وثانيها: الأنا العليا؛ التي تلعب دوراً نقدياً ووعظياً، وثالثها: الأنا؛ وهي الجزء الواقعي المنظم الذي يتوسط بين رغبات الهُو والأنا العليا)[127]، ويصف "كارل يونغ" النّفس البشرية: (بثلاث عناصر: أولها: الأنا؛ وتمثل العقل الواعي، وثانيها: اللاوعي الفردي؛ ويضم الذكريات، وثالثها: اللاوعي الجمع؛ وهو من الوراثة النفسية، ويضم كل المعارف والتجارب التي يتشاركها البشر)[128]، ويصف إبن خلدون النّفس البشرية: (النفس الإنسانية غائبة عن العيان، وآثارها ظاهرة في البدن، فكأنه وجميع أجزائه . مجتمعةً ومتفرقةً . آلات للنفس ولقواها)[129]، ويضيف أيضاً: (أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة، وإن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدُّد العلوم والإدراكات)[130].

---

[122] توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، لإبن قيم الجوزية: (75/1)، والصفدية، لإبن قيم الجوزية: (24/1) .

[123] الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن زايد الشريف، دار المعارف، ج1 ،ص203-204.

[124] مدخل إلي التصوف، لابي الوفا التفنازاني، دار الثقافة، الطبعة الثالثة للسنة1979م، ص103.

[125] كشف المحجوب، للهجويري ، ترجمة: محمود أحمد ماضي أبو العزائم ، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الأولى لسنة 2007م، ص 226.

[126] في الفلسفة الإسلامية، لإبراهيم مذكور: (127/1).

[127] Snowden, Ruth (2006). *Teach Yourself Freud.* McGraw-Hill. pp. 105-107. ISBN 978-0-07-147274-6.

"The Super-ego ofFreud.""http://journals1.scholarsportal.info.myaccess.library.utoronto.ca/tmp/1616109293319725532.pdf"

[128] جدلية الانا واللاوعي، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار- الطبعة الأولى، اللاذقية-سوريا، ص9 .

[129] مقدمة إبن خلدون: ص96 .

[130] المصدر نفسه: ص428.

المطلب الثاني

تعريف النّفس الإنسانية

مما تقدم من تعريفات العلماء للنّفس تبعاً لتخصصاتهم المتنوعة، نخلص إلى أن مصطلح النّفس لا يبتعد عن معناه اللغوي؛ فهو مفهوم مشترك بين حيثيات متعددة، أضف إلى كونه ذا طبيعة جدلية معقدة، والذي نختاره .بحسب موضوع بحثنا .**تعريف النّفس الإنسانية** .باعتبار المركب الإضافي أنها: **قوى العقل والشهوة والغضب، الاعتدال فيها فضيلة وإطرّافها رذيلة**؛ وذلك أن الاعتدال في قوة العقل حكمةٌ، والإفراط فيها جريرة، والتفريط غباوة، كذلك فإن اعتدال الشهوة عفةٌ، والإفراط فيها فجورٌ، وتفريطها جحود، ومثلهما أيضاً الاعتدال في قوة الغضب فهو شجاعةٌ، والإفراط فيها تهورٌ، والتفريط جُبنٌ ،، أضف أن هذه الفضائل الثلاثة . الحكمة، والعفة، والشجاعة . قد تتحول إلى رذائل؛ في حال مقصدها السيء، ومثال ذلك . على التوالي . كالذي يتخذ من الحكمة؛ قصداً لمماراة السفهاء، أو للتسويف في الرأي، وكالذي يتخذ من العفة قصداً لتعيير أو هتك السّتر ، وكالذي يتخذ من الشجاعة قصداً للتكبر أو الغنيمة؛ والأصل في الاعتبار ما بين الفضيلة والرذيلة في وصف هذه القوى الثلاثة هو النية التي تصاحب الفعل؛ فهي فضيلة إذا لم تكن النية فيها لغرض يشوبها، وإلا فتكون من الرذائل[131] .

[131] الأخلاق، لعضد الدين الإيجي: ص29-30 بتصرف .

المبحث الثالث

مراتب النّفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم

تمهيد

النّفس الإنسانية في أصل خلقها نفس واحدة، سوّاها خالقها في أحسن صورها، وبإرادته الإلهية جعلها وعاءً للخير والسوء معاً، وترك للإنسان خيار الأخذ منها؛ بتعدية خيرها على سوؤها أو العكس بما وضع للإنسان من العقل كآلة للتمييز، مع صريح أمره تعالى بتنقية النّفس والوصول بها إلى غاية الكمال النسبي، ونهيه سبحانه عن دسّها في الشر واستدراجها إلى براثِن الفساد، فهي بين منزلتي الخير والشر اللتين بذاتهما يستدعيان تذبذب النّفس الإنسانية طيلة حياتها الدنيا بين مستويات متعددة: إما في تزكيتها إلى بلوغ منتهاها، أو في ضلالها إلى وصول قاع فسادها؛ وهذا مما جعل النّفس الإنسانية تقسم في عقيدة الإسلام على مراتب؛ وإن كان (التحقيق أنها واحدة – كما يقول إبن القيم – ولكن لها صفات فتسمّى باعتبار كل صفة بإسم)[132]، وأحصاء هذه الصفات يختلف بحسب كيفية تقسيمها[133]؛ وتوصيف القرآن الكريم للنّفس الإنسانية هو ما سنعتمده في يبان مراتبها وأحوالها، سواءً ما كان منها محموداً لمعرفة سبل الوصول إليه، أو ما كان منها مذموماً لتحذير منها وبيان عاقبتها، والحاصل رصدها ثم تقويمها. كما سيأتي توضيحه إن شاء الله. وقد اقتضى هذا المبحث تقسيمه على مطلبين؛ وكالآتي:

المطلب الأول: النّفوس المحمودة في القرآن الكريم، وسبل الوصول إليها:

المطلب الثاني: أحوال النّفس المذمومة في القرآن الكريم، والتحذير من عاقبتها

---

[132] الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفَّى: 751هـ،

[133] وذلك باعتبار كل صفة من صفات النفس هي نوع من أنواع النفس الإنسانية وعليه نجد أن منهم من أوصلها إلى سبعة: "أمَّارة، ولوَّامة، ومطمئنة، وزكية، وحواذية، ومنهم من أوصلها إلى اثنتي عشرة حالة: النفس المطمئنة، واللوامة، والزكية، والمجادلة، والملهمة، والأمَّارة، والمهتدية، والمجاهدة، والشاكرة، والصالحة، والشحيحة، والخيرة، يراجع في ذلك التعريفات؛ للجرجاني، وأقسام القرآن؛ لابن القيم، وآفات النفس، د.نعيمة عبدالله البرش، تحقيق: د. رياض محمود قاسم.

المطلب الأول

النّفوس المحمودة في القرآن الكريم، وسبل الوصول إليها:

أولاً: النّفس السّخية الكريمة، قال تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [134]؛ التوصيف هنا للنّفس الكريمة السّخية التي تنشرح بالإنفاق في الخير[135]، وسبل الوصول إلى هذه الرتبة يكون بتعزيز دوافع العطاء والبذل عند الإنسان؛ كما في حثه على الجود والكرم، وترغيبه في حب المساعدة والتكافل الإجتماعي، وأثر البذل منه والعطاء في توفيق الله له، وبلوغه الثقة والراحة بنفسه الطيبة حين يزرع السعادة في قلوب الآخرين؛ ليكسب بها محبة الله تعالى والناس معاً[136] .

ثانياً: النّفس الصابرة، قال تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [137]؛ التوصيف هنا في أمر النّفس بالصبر لِما تشتمله النّفس الصابرة من غايات الخير، يقول الإمام الغزالي.رحمه الله- في وصفها والغاية في إدراكها: (هذا الضرب محمود، وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى .. فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر.. وتيسير الصبر بطول المواظبة، وإرث ذلك مقام الرضا)[138]، وسبل الوصول إلى هذه المرتبة من النّفس يكون بالاستعانة بالله ودوام معيته سبحانه، والإيمان بأنها طريق دفع أنواع الأذى، وأن الله وكيل من صبر، وإدراك حسن الغاية من الصبر وقبحها في حالة الجزع؛ وذلك بالتأسي بغيره ممن صبر فأعطاه الله ما يرضيه[139].

ثالثاً: النّفس اللوّامة، قال تعالى: وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [140]؛ التوصيف هنا للنّفس اللوّامة، ويقصد بها النّفس: (التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت عن سنة الغفلة فكلما صدر هنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها ونفرت عنها)[141]؛ وهي نفس المؤمن التي تلوم نفسها على فوات طاعة أو ارتكاب ذنب وتندم وتتوب[142]، وهذا اللوم والندم هو الخطوة الأولى للتوبة والطريق إلى المغفرة، ويكون ذلك حين تتحرر الروح السلطانية من أسر الروح الحيوانية، فيلوم المذنب نفسه، ويعيب عليها ذنبها ، ثم يبدأ بالاستغفار، فتراه فاق من غفلته فتسره حسناته وتحزنه سيئاته، حتى يكف عن الانغماس في الشهوات وعيشه الباحث عن الرغبات سعياً منه لمجاهدة نفسه في الإفراط في المعاصي؛ وسبيل ذلك في الخضوع لأمر

---

[134] سورة البقرة: آية 265 .

[135] ينظر: تفسير السعدي: (45/1) .

[136] ينظر: التصوير النبوي للقيم الخلقية، لعلي علي صبح، ص181، وموسوعة الأخلاق الإسلامية: (180/1).

[137] سورة الكهف من الآية 28 .

[138] إحياء علوم الدين: (62/1) .

[139] ينظر: جامع المسائل لإبن تيمية: (168/1-174)، وموسوعة الأخلاق الإسلامية: (319/1-322) .

[140] سورة القيامة: آية2 .

[141] روح المعاني: (137/29)، التعريفات للجرجاني:

[142] ينظر: فتح القدير: (1557/1).

الله سبحانه في كل الأحوال، ومصاحبة الأتقياء ومجالسة الصالحين، والإكثار من الاعمال الصالحات خالصة لوجه الله تعالى .

رابعاً: النّفس المجاهدة، قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى [143]؛ التوصيف هنا للنّفس المجاهدة؛ كما قال إبن بطال: (جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ ويقع بمنع النّفس عن المعاصي، وبمنعها من الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة؛ لتتوافر لها الآخرة)[144]، ومقصود المجاهدة هو: (فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها)[145]، قال إبن رجب .رحمه الله : (جهاد النّفس في طاعة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " المجاهد من جاهد نفسه في الله"[146]، وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو: "إبدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها" وأعظم المجاهدة طاعة الله)[147]، والسبيل إلى تمام ذلك أن يكون الإنسان متيقظاً لنفسه في كل أحوالها؛ لأنه متى غفل عن ذلك إستهوته نفسه إلى المعاصي والمنهيات[148].

خامساً: النّفس الزكية، قال تعالى: فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً [149]؛ الوصف هنا للنّفس الزكية، وهي النّفس الطاهرة التائبة المغفور لها ذنوبها[150]، والمقصود بتزكية النّفس: تطهيرها من الأوصاف الذميمة، وتنقيتها بالأعمال الصالحة، وتزيينها بحب الله وطاعته؛ كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [151]، وفي الحديث: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل: وما تزكية النّفس؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (أنْ يعلم أنَّ الله معه حيث كان)"[152]، وسبيل بلوغ هذه المرتبة من النّفس: (مُركب من ستة أجزاء: .كما يذكرها إبن القيم رحمه الله . عبودية الله ، فعل الطاعات وترك المحرمات ، الصبر على البلاء ، التوبة ، الإنابة إلى الله سبحانه ، كثرة الإستغفار)[153].

سادساً: النّفس المطمئنة الراضية، قال تعالى: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي(30) [154]؛ الوصف هنا للنّفس المطمئنة والراضية،

---

[143] سورة النازعات: آية 40 .

[144] فتح الباري لابن حجر العسقلاني: (288/12) .

[145] الرسالة القشيرية: ص42 .

[146] فتح الباري: (287/12) .

[147] لطائف المعارف: ص227 .

[148] ينظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (71/3) .

[149] سورة الكهف: آية74 .

[150] تفسير البغوي: (5/ 191)، وتفسير الطبري: (340/15)، وينظر: تفسير القرطبي: (395/10).

[151] سورة الشمس: آية9 .

[152] سنن البيهقي:(95/4) .

[153] التفسير القيم للإمام إبن القيم(ت751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص47.

[154] سورة الفجر: آية 27-30 .

والمقصودة بالمطمئنة: هي النّفس المؤمنة الآمنة المخلصة المبشرة بالجنة[155]، المخبتة المنيبة الموقنة بربها سبحانه[156].. وإنَّ حقيقة هذه الطمأنينة: (وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسْبِه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين)[157]، ومن كانت هكذا نفسه لقي ربه راضياً عنه مرضياً؛ كما يقول الإمام الحسن البصري .رحمه الله .في معنى النّفس المطمئنة في الآية الكريمة: (إنّ الله إذا أراد قبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفسُ إلى الله، واطمأنّ اللهُ إليها، ورضيتْ عن الله، ورضي الله عنها، أمر بقبْضها فأدخلها الجنة، وجعلها مِن عباده الصالحين)[158]، وهذه هي مرتبة النّفس الراضية؛ والسبيل إليها (يتضمن توحيده .سبحانه .وعبادته والإنابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجاءه ومحبته والصبر له وبه. والشكر على نعمه: يتضمن رؤية كل ما منه نعمة وإحسانا وإن ساء عبده. فالرضا به يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله والرضا بمحمد رسولا يتضمن شهادة أن محمدا رسول الله والرضا بالإسلام دينا: يتضمن التزام عبوديته وطاعته وطاعة رسوله. فجمعت هذه الثلاثة الدين كله)[159].

المطلب الثاني

أحوال النّفس المذمومة في القرآن الكريم، والتحذير من عاقبتها

أولاً: النّفس الخاسرة، قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [160]، الذم ههنا للنّفس الخاسرة؛ التي أتلفت صاحبها وتسببت له بالضياع وأوقعته بالعذاب، وحرمته الثواب[161]، وعاقبتها مريرة؛ فقد ذكر الإمام الرازي .رحمه الله .في تفسيره أن في الآية: (كمال الزجر؛ لوقوعها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه، وصف الله ذلك الخسران بغاية الفظاعة، حتى إنه بلغ في العظمة إلى حيث لا تصل عقولكم إليها فتنبهوا لها؛ فمن أعطاه الله الحياة والعقل والتمكن، ثم إنه لم يستفد منها لا لمعرفة الحق ولا لعمل الخير ألبتة كان محروماً عن الربح بالكلية، وإذا مات فقد ضاع

---

[155] ينظر تفسير القرطبي: (51/20) .

[156] ينظر: تفسير الطبري: (424/24) .

[157] إغاثة اللهفان لإبن القيم: (76/1)

[158] صحيح البخاري: (169/6)، وينظر: فتح الباري: (703/8)، وموسوعة التفسير بالمأثور للشاطبي: (429/15) .

[159] تهذيب مدارج السالكين لإبن القيم: ص332 .

[160] سورة الزمر: آية15 .

[161] ينظر: التحرير والتنوير: (360/24)، وروح المعاني: (251/23) .

رأس المال بالكلية، فكان ذلك خسرانا عظيماً)[162]، وهو خسران يستمر لا نجاة بعده بل ولا سلامة منه[163]؛ قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا [164]، فخسران النفس بدخولها النار؛ قال تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ [165]؛ وخسران أهله بأن يفرق بينه وبينهم[166] وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ [167].

ثانياً: النّفس المُتحسرة، قال تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [168] ، التوصيف هنا للنّفس المتحسرة؛ والمقصود منها المتندمة الندامة الشديدة والاغتمام على ما فاتها وضيعته في حق الله[169]، جاء في التفسير: (يدل على غاية الأسف ونهاية الحزن .. وقد جاء عقيب التفريط في طاعة الله تعالى ليناسب شدة الحسرة، وهذا يقتضي حصول تلك الحسرة عند حصول هذا التفريط)[170]، وعاقبتها أليمة؛ يقول مكي بن أبي طالب .رحمه الله .في تفسيره: (وأصل الحسرة الندامة التي تلحق الإنسان حتى يصير معها حسيراً؛ أي: معيباً .. فمن الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي آتاه الله عز وجل يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له أجره وعلى الآخر وِزْرُه، ومن الحسرات أن يرى الرجل عبده الذي خوله الله في الدنيا أقرب منه منزلة من الله جل ذكره، أو يرى رجلاً يعرفه في الدنيا أعمى قد أبصر يوم القيامة وعمي هو)[171].

ثالثاً: النّفس البائسة، قال الله تعالى: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ [172]، الذم ههنا للنّفس البائسة؛ التي استبدلت حظ صاحبها من الثواب إلى العقاب ، بعد أن عدلت به من الحق إلى الباطل[173]، وعاقبتها العذاب العظيم؛ يصفه السعدي .رحمه الله .في تفسيره: (مؤلم موجع, وهو صلي الجحيم, وفوت النعيم المقيم، فبئس الحال حالهم, وبئس ما استعاضوا واستبدلوا..مع علمهم وتيقنهم, فيكون أعظم

---

[162] ينظر: مفاتيح الغيب: (26/5) .

[163] ينظر: تفسير السعدي: (721/11) .

[164] سورة هود: آية21

[165] سورة المؤمنون: آية 103 .

[166] ينظر: تفسير البغوي:(112/7) .

[167] سورة الشورى: آية 45.

[168] سورة الزمر: آية 56 .

[169] ينظر التحرير والتنوير لإبن عاشور: (45/25) .

[170] ينظر: تفسير الرازي: (5/27) .

[171] الهداية في بلوغ النهاية: (6363/10) .

[172] سورة البقرة: آية 90 .

[173] تفسير ابن كثير: (328/1) .

لعذابهم)[174]، لأن أمثال هؤلاء أنفسهم خبيثة لا تشترى بل تباع، فإذا خافوا على أنفسهم من العقاب أتوا بأعمال يظنون أنها تخلصهم، فظنوا أنهم اشتروا أنفسهم، وخلصوها، فذمهم الله تعالى عليه بما علموا من مخالفة الحق، فكانت أنفسهم البائسة موجبة للعذاب المهين[175].

رابعاً: النّفس الهاوية، قال تعالى: فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [176]، النهي في الآية الكريمة عن هوى النفس؛ أي المحارم التي تشتهيها[177]، (فالهوى. كما يقول إبن عاشور رحمه الله في تفسره. ما تهواه النّفس.. وترغب فيه قواها الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفع الكامل، وقد شاع هوى النّفس في المرغوب الذميم..إذ لا يكون الهوى إلا بغير هدى)[178]، فالنّفس الهاوية تهوي بصاحبها في الدنيا إلى كل واهية، وعاقبتها إلى الهاوية[179].

النّفس الأمارة بالسوء، قال تعالى: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ [180]؛ التوصيف هنا للنّفس الآمارة بالسّوء، أي التي: (تأمر بالقبائح والمعاصي لأنها أشد استلذاذاً بالباطل والشهوات وأكثر ميلاً إلى أنواع المنكرات، ولولا ذلك لما صارت نفوس أكثر الخلق مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة . في الحرام . وإصدار الشرور)[181]، والباعث على السّوء فيها أصل في الخلقة؛ جاء في التفسير: (خُلقت النّفس على جبلة الآمارية بالسّوء طبعاً حين خليت إلى طبعها لا يأتي منها إلا الشر ولا تأمر بالسّوء ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بنظر العناية يقلبها من طبعها ويبدل صفاتها ويجعل آماريتها مبدلة بالمأمورية وشريرتها بالخيرية)[182]، وتصديق ذلك قوله تعالى: نَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10) [183]، وهذا السوء نجده في النّفس الوسواسة؛ قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ [184]، ومثلها النّفس السّوّالة؛ التي بعد أن تأمر الإنسان بالسوء وتوسوس له بذلك، تأتي النّفس لتسوّل له فعل السوء، قال تعالى: قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ

---

[174] تفسير السعدي: (58/1) .

[175] روح المعاني: (321/1).

[176] سورة النازعات: آية 39-41 .

[177] ينظر: تفسير البغوي: (445/4) .

[178] ينظر: التحرير والتنوير: (89/31) .

[179] ينظر: روح المعاني للآلوسي: (36/30) .

[180] سورة يوسف: آية 53 .

[181] تفسير روح البيان: (272/4).

[182] تفسير التأويلات النجمية، لنجم الدين الكبرى: (3328) .

[183] سورة الشّمس: الآيات 7،8،9،10 .

[184] سورة ق: آية 16 .

لِي نَفْسِي(96) [185]، وفي قصة نبي الله يوسف .عليه السلام . يقول تعالى: وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ(18) [186] ..

وهذا السّوء في النّفس إذا ما أُطلق تولدت منه آفات ذميمة تَمرُضُ بها النّفس الإنسانية قد ورد ذمّها والنهي عنها في القرآن الكريم؛ منها:

1- النّفس المستكبرة، قال تعالى: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا [187]؛ الذّم هنا للنّفس المستكبرة؛ ومعناها التكبر والعناد على الحق[188]، فحين تأخذ النّفس بفجورها وتميل إلى السّوء والعصيان في سلوكها يستحوذ الشيطان عليها، ويسيطر على أفعالها فتستكبر وتغرق في مستنقع الظلم والخسران[189].. وليس للأنفس أن تتكبر؛ لأن الكبرياء لله وحده سبحانه، والإنسان مخلوق عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما أعطاه الله من القوة، والاستكبار في النّفس تبطر على الحق، وهو أول معصية إرتكبت من إبليس مع خالقه سبحانه فكان مصيره الطّرد من رحمة الله.

2- النّفس الحاسدة، قال تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [190]؛ الذّم هنا للنّفس الحاسدة؛ والمقصود: (الانفعال الأسود الخسيس الذي تفيض به النّفوس الشريرة.. وذلك ما يفعله الحقد اللئيم في النّفس من الرغبة في سلب الخير من الآخرين)[191]، وفي الحسد قال الطاهر بن عاشور: (إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغيرة مع تمني زوالها عنه)[192]، وقد سمّاه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم داء الأمم[193]؛ وذلك لما فيه من (البغض والكراهة من الحاسد لما يراه من حسن حال المحسود ، فنفسه تكره ما أنعم به على غيره)[194].

3- النّفس السفيهة، قال تعالى: وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ [195] ، الذم هنا للنّفس السّفيهة؛ والمقصود منها الدنيئة المهينة المستخفة[196]، يقول إبن عاشور في تفسيره: (وسفّه بمعنى استخف؛

---

[185] سورة طه: الآيتان 95،96 .

[186] سورة يوسف: آية 18 .

[187] سورة الفرقان: آية 21 .

[188] ينظر: فتح القدير للشوكاني: (86/4) .

[189] ينظر: أثر القرآن في ضبط نفسية الإنسان، لمحمد المصري، مقال منشور على شبكة أهل التفسير.

[190] سورة البقرة: آية 109 .

[191] في ظلال القرآن لسيد قطب: (101/1) .

[192] التحرير والتنوير: (629/30) .

[193] عن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبَغْضَاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئكم بما يثبِّت ذلك لكم؟ أفشوا السَّلام بينكم)، سنن الترمذي: (573/4 رقم 2510).

[194] ينظر: مجموع الفتاوى: (111/10).

[195] سورة البقرة: آية 130.

[196] ينظر: تفسير السعدي: (94/1) .

لإن السّفاهة خفة العقل واضطرابه.. ومنه السّفاهة في الفعل وهو ارتكاب أفعال لا يرضى بها أهل المروءة، كالسفه في المال وهو إضاعته وقلة المبالاة به وسوء تنميته، وسفهه بمعنى استخفه وأهانه؛ لأن الاستخفاف ينشأ عنه الإهانة.. فلا يبال بإضاعة نفسه دنيا وأخرة؛ لأنها خفت وطاشت، وسرت السّفاهة من النّفس إلى صاحبها من شدة تمكنها بنفسه حتى صارت صفة لجثمانه)[197].

4- النّفس الظالمة، قال تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [198]، الذم ههنا للنّفس الظالمة؛ والمقصود بظلم النّفس معصيتها لله وبغيها عليه سبحانه[199]، (والقرآن مملوء من هذا. كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله. فلم يجيء في القرآن ذكر الظالم لنفسه إلا في معرض الوعيد والوعيد؛ كقوله تعالى: وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ [200]، وقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44) [201]، فالظالم لنفسه هو الذي خفت موازينه ورجحت سيئاته، والقرآن كله يدل على خسارته.. وإن ظلم النّفس قد يكون بالكفر؛ كما في قول موسى لقومه: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ [202]؛ وبهذا يكون ظلم النّفس نوعان: نوع لا يبقى معه شيء من الإيمان وهو كما بينا ظلم النّفس بالكفر، ونوع يبقى معه حظه من الإيمان، وهو ظلم النّفس بالمعاصي)[203]، الذي يمكن فيه الرجوع إلى الله بالاستغفار؛ كما في قوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(135) [204].

5- النّفس المُسرفة، قال تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ [205]، التوصيف هنا للنّفس المُسرفة؛ والمعنى هو الإكثار من المعاصي، والشرود عن طريق الحق حتى أثقلوا أنفسهم بالسيئات[206]، قال ابن عاشور: (والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمّات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة حتى لا يقف عند حد)[207].

---

[197] ينظر: التحرير والتنوير: (725/1) .

[198] سورة النّحل: آية 118 .

[199] ينظر: تفسير الطبري: (315/17) .

[200] سورة سبأ: آية 19 .

[201] سورة يونس: آية 44 .

[202] سورة البقرة : آية 54 .

[203] ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) الدار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ، ص322.

[204] آل عمران: آية 135 .

[205] سورة الزمر: آية 53 .

[206] ينظر: التحرير والتنوير: في ظلال القرآن لسيد قطب: (3030/5) .

[207] التحرير والتنوير : (123/8) .

6- النّفس المخادعة، قال تعالى: يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(9) [208]، الذّم ههنا للنّفس المخادعة؛ والمقصود بها الخائنة التي نكثت عهدها مع الله، وهي من قبيح الصفات وشنائع السمات[209]، قال الطبري في تفسيره: (خداع المنافق ربه والمؤمنين، إظهاره بلسانه من القول والتصديق، خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب؛ ليدرأ عن نفسه حكم الله به)[210].

7- النّفس اللُّمَزَةُ[211]، قال تعالى: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [212]، النهي في الآية الكريمة عن النّفس اللُّمَزَةُ؛ والمقصود بها: النّفس الوقحة المباشرة بالمكروه والذم والطعن والانتقاص من الآخرين[213]، يقول الآلوسي .رحمه الله .في تفسيره: (واللمز التنبيه على المعايب أو تتبعها والمعنى؛ لا يعب بعضكم بعضا بقول أو إشارة؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنه عاب نفسه)[214]، وعاقبتها الطرد من رحمة الله؛ فالنّفس اللامزة مذمومة ملعونة[215] قوله تعالى: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ(1) [216].

8- النّفس الشحيحة[217]، قال تعالى: وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [218]، التحذير في الآية من النّفس الشحيحة؛ والمقصود منها البخل والحرص المذموم ظلماً واتباعاً للهوى[219]، فالشّح في النّفس يأمر بخلاف ما يريده الله ورسوله، فإنه سبحانه ينهى عن الظلم ويأمر بالإحسان، والشح يأمر بالظلم وينهى عن الإحسان؛ يقول ابن تيمية .رحمه الله : (الشح . الحرص وقوة الرغبة في المال .يوجب البخل بمنع ما هو عليه والظلمَ بأخذ مال غيره)[220]، "وإضافة (شُحَّ) إلى النّفس . كما يقول ابن عاشور في تفسيره .للإشارة إلى أن الشح من طباع النّفس، فإن النفوس شحيحة بالأشياء المحببة إليها قال تعالى: وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ[221]، فهذا المنهي عنه"[222]، لأنه المعوق عن كل وجوه الخير،

---

[208] سورة البقرة: آية 9 .

[209] ينظر: تفسير السعدي: (210/1)، والتحرير والتنوير: (61/10) .

[210] تفسير الطبري: (1/ 273) .

[211] اللمز: العيب والوقوع في الناس، لسان العرب: (13/ 232) .

[212] سورة الحجرات: آية 11 .

[213] ينظر: التحرير والتنوير: (249/27).

[214] روح المعاني: (260/1) .

[215] ينظر: تفسير ابن كثير: (227/4) .

[216] سورة الهمزة: آية 1 .

[217] الشّح: هو منع وبخل مع حرص، يقال: تَشَاحَّ الرّجلانِ على شيء؛ أي: إذا أرادا الفوزَ به ومنْعَه عن الآخر، ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (3 /178) .

[218] سورة التغابن: آية 16 .

[219] ينظر: تفسير القرطبي: (135/18) .

[220] مجموع الفتاوى: (589/10) .

[221] سورة النّساء: آية 128 .

[222] التحرير والتنوير: (90/29) .

فلا يمكن أن يعمل الخير من إتصف بشح النّفس فهو يهم في كل حين أن يأخذ ولا يهم مرة بأن يعطي[223]؛ وتأتيه هذه الصفة الذميمة من ضعف النّفس وسوء الظن فيمده الشيطان حتى يتولد عنه المنع في البذل والإنفاق والجزع لفقده[224]؛ قال تعالى: وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21) [225] .

[223] ينظر: في ظلال القرآن: (3527/6) .

[224] ينظر: كتاب الروح لإبن القيم: (237/1) .

[225] سورة المعارج: آية 21 .

المبحث الرابع

أساليب تقويم النّفس الإنسانية في الإسلام، وبيان أثر ذلك على الفرد والمجتمع

المطلب الأول

أساليب تقويم النّفس الإنسانية في الإسلام

لمّا كانت النّفس الإنسانية في أصل كينونتها لها من نوازع الشّر ما لها من صبغة الخير؛ مصداقاً لقوله تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) [226]، إذاً فقد شاء الله بإرادته أن يجعل النّفس بمثابة الطفل يحمله الإنسان في داخله، ليكون مسؤولاً عنه ومقيدة به جوارحه في عملها وأقوالها، فاستدعى ذلك أن يترك الله تعالى زِمام نفس الأنسان بيده ليسعى في تربية طفله . أي نفسه . هذا الذي بداخله كل بحسب ما آتاه الله من قوة؛ ليقوّم إعوجاجها فيكبح الشر فيها، ويسقي زرع خيرها لينمو وتزهر ثمراته.. وحيث قدّر الله سبحانه أن تكون النّفس الإنسانية مستودعاً للشر والخير معاً، لم يترك الإنسان لتتحكم به غرائز نفسه وشهواتها كما الحيوان في غابته؛ بل أوجد في الإنسان ما يعصمها ويربطها بحزم؛ وهو العقل ليدرك ماهية فعله وقوله قبل أن يخرج منه، ولأجل فلاحه في إنحسار الشر في النّفس وتغليب الخير؛ مكّن له الطريق لتربية طفل نفسه، وترويض رغباته بأساليب تقويم إذا ما اغتنمها نقّى نفسه من أمراضها وآفاتها الذّميمة؛ التي يمكن حصر أصولها بثلاث: (الكبر، وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره..والحرص، وهو الذي أخرج آدم من الجنّة..والحسد، وهو الذي جرأ أحد إبني آدم على أخيه،،فمن وقِي شرّ هذه الثلاثة فقد وقِي الشّر..فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحِرص، والبَغي والظلم من الحسد)[227]..وأساليب التقويم للنّفس الإنسانية في الإسلام شرعها الله سبحانه لتكون في أركان الدين؛ فكأنما بذلك يرشدنا إلى أن الأركان التي تقوم بها نفس الإنسان بحيث تمنعه من السقوط في الهاوية، هي أركان إسلامه؛ متى ما أخذ بالعمل بها وتذوقها قوّى ونمّا خير نفسه فنجى، ومتى ما نأى عنها وفرغ قلبه من نورها تهاوى إلى شر نفسه فغرق فيها بلا نجاة .. وسأبين إجمالاً أثر أركان الإسلام في تقويم النّفس مع التمثيل لأساليب التقويم العملية منها والروحية؛ وكما يأتي:

أولاً: تقويم النّفس الإنسانية بتذوق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ وصفة ذلك ما جاء في كتابنا روح التوحيد . أن (الإنسان روح ومادة، نية وعمل، تتغذى الروح فترتوي النّفس والجوارح، وفي التكوين البشري تبقى الروح في الجّسد تبحث وتستقصي راحتها ولا تستقر إلا لما خُلقت له ألا وهو التوحيد، فتطمئن ويسكن روعها، وإلا فبدون ذلك تبقى في تيه العتمة وظلام النّفس، لكنها حين تهتدي للتوحيد يحل الإيمان في القلب وتتوهج به النّفس والجوارح وتسعى لتلبية نداء الخالق العظيم؛

---

[226] سورة الشّمس: الآيات 7- 10.

[227] كتاب الفوائد لإبن القيم: ص105 .

فتصلح النّفس ويصلح العمل تبعاً لصفاء روح التوحيد فيها)[228]، فتذوق الإنسان للشهادة قلباً ولساناً من شأنه أن يزكي النّفس ويصلح عمل الجوارح، وحصول ذلك .كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله .يكون : (لمن تمكنت كلمة التوحيد في قلبه بحقيقتها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف الحقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله وعضد قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالربوبية والوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً)[229]، فلا يكون الإنسان المسلم مؤمناً ما لم يقرن نطقه لكلمة التوحيد بلسانه مع إخلاص قلبه وصلاح نفسه، وعمل جوارحه بطاعة الله[230]؛ قال تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [231]، إذن فالشهادتين تتطلب التسليم لله وطاعته، والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليصل إلى رضا الله ومحبته؛ والفوز بمحبة الله لا تحصل إلا بعد قهر النّفس الأمارة بالسوء، والتطهر من أحوالها الذّميمة كالغضب والشتم والضرب والقهر وغيرها، والشيطانية كالحسد والكبر والعُجب والحقد وغير ذلك من آفات النّفس، التي إذا تطهرت منها فقد سلمت من أصل الذنوب، وإنما إزالة هذه الذمائم بتصفية مرآة النّفس بكلمة التوحيد، وبالعلم والعمل الصالح، ومجاهدة نوازع النّفس القوية، حتى ترفع الظُلمة ويعم النّور أركان النّفس، فتتحول إلى نفس مطمئنة بالإيمان يفيض منها نور التقوى، مستلذة بصلاحها في طاعة الله، ومستقبحة السوء والمعاصي[232]، فمتى ما تمكنت الشهادة في النّفس بترسيخ الإيمان بوحدانية الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتحقق إسلوب تقويم النّفس؛ لأن في ذلك مفتاح الطريق للصلاح وبدونه لاتنفع ولا تتم[233]، كما يقول المحاسبي .رحمه الله .(أول ما يلزمك من صلاح نفسك الذي لا صلاح لها في غيره أن تعلم أنها مربوبة متعبدة وأنه لا نجاة للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه سبحانه هو العلم ثم العمل بأمره ونهيه في مواضعه وعلله وأسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم)[234]؛ إذن فليس المراد بالإيمان حركة اللسان، وحديث النّفس بكلمتي الشهادة خالية من تذوقها بإخلاص، وتشربّها النّفس صلاحاً، والجوارح عملاً وطاعة.

ثانياً: تقويم النّفس الإنسانية بأداء وروح الصلاة المكتوبة، ففي أداء الصلاة أفعال هي تذلل وخضوع لله سبحانه من ركوع وقيام وسجود، وروح الصلاة أعمال قلبية من نية واستعداد للوقوف بين يدي الله[235]،

---

[228] روح التوحيد في العقيدة الإسلامية، د. شيماء ياسين الرفاعي، ص 33.

[229] إعلام الموقعين: (144/1) .

[230] ينظر: مجموع الفتاوى لأبن تيمية: (296/7) .

[231] سورة الكهف: آية 110 .

[232] ينظر: سر الأسرار للجيلاني: ص42 .

[233] ينظر: تربيتنا الروحية لسعيد حوى: ص146 .

[234] الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي: ص35 .

[235] ينظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور: (258/21) .

وقد وصفها البقاعي .رحمه الله .(بالمقصد الأعظم من الصلاة، وهو مراقبة من يصلي لله حتى كأنه يراه ليكون بذلك في أعظم الذكر .. فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه ، ومن ذكره .سبحانه .أوشك أن يرق قلبه، ومن رق قلبه استنار لبه، فأوشك أن ينهاه هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية)[236]، لنفهم أن الصلاة بمجموعها عاصمة للنّفس عن سوئها، كما قال تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [237]، ووجه ذلك: (أن العبد المقيم للصلاة، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء .وهو كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس . والمنكر . وهو كل معصية تنكرها العقول والفطرة . وهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها)[238]، ولما كانت النّفوس تحتاج في كل وقت إلى كبح جموحها وتقويم معوج طباعها ومنحرف مزاجها، وتمرينها على شاق الكلف؛ فقد إقتضت الحكمة الإلهية جعل الصلوات مقسمة على مواقيت من النهار والليل؛ يتجدد التذكير فيها وتتعاقب المواعظ، فعلى قدر تكرر الصلاة تزداد خواطر التقوى في النّفس وتتباعد من العصيان حتى تصير تقوى الله ملكة للنّفس، وهذه خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة يكون بها تيسير الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، ما إن تمسك بها عملاً وقلباً مكنته من تقويم نفسه والاستعانة بالله عليها ليطرد وسواسها بالسوء، ويستقر الصلاح وحب الخير فيها[239]، فالصلة بين الصلاة أداءً وروحاً وبين تقويم نفس الإنسان وتزكيتها من السوء صلة أقرها الخالق العظيم؛ لتكون حياة الإنسان حياته بصلاته التي لا يتم فيها تقويم النّفس إلا إذا راعى فيها . كما يذكر الأئمة الصالحون . (حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجا، والحياء)[240]، فتتشرب الروح بعمل الجوارح ويحصل بالتذلل لله تذلل النّفس وانكسارها لخالقها فتحيد عن مجانبة الحق وتنطوي على فعل الخير وترك السّوء، وصورة هذه الصلاة أنه: (إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينصب ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلا وهو منتصب نحو الحق تعالى، ثم يُعّظم ربه حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله عزّ وجلّ، ويصغّر نفسه حتى يكون أقل من الهباء، فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو الذي يسمع ذلك، وإذا سجد فالأدب في سجوده أن لا يكون في قلبه عند السجود شيء أقرب إليه من الله تعالى؛ لأن أقرب ما يكون العبد من ربه عند السجود فيجب أن ينزهه عن الأضداد بلسانه ولا يكون في قلبه أجلّ منه ولا أعزّ منه، ويتم صلاته على هذا ويكون معه من الخشية والهيبة ما يكاد أن يذوب، ولا يكون له في صلاته شغل أكثر من شغله بها حتى لا يشتغل بشيء غير الذي هو واقف بين يديه حتى يخرج

---

[236] ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (447/14) .

[237] سورة العنكبوت: آية 45 .

[238] تفسير السعدي: (317/6) .

[239] ينظر: تفسير البقاعي: (447/14)، والتحرير والتنوير: (258/21) .

[240] ينظر: إحياء علوم الدين: (199/1)، وطي السجل لهاء الدين الرفاعي الرّواس، تحقيق: عبد الحكيم بن سليم، الطبعة الأولى، لسنة 1319هـ، ص183 .

من الصلاة بالعقد الذي قد دخل فيها[241]، وعند فراغهم من الصلاة، يسيطر على قلوبهم الشعور بالإشفاق والوجل والهم؛ خوفاً ألاّ تقبل منهم صلاتهم)[242].

ثالثاً: تقويم النّفس الإنسانية بالصوم عملاً وروحاً؛ وصورة ذلك بالإمساك عن الأكل والشرب ومواقعة النساء عملاً، والإمساك عن كل النواهي والذمائم روحاً؛ كالغيبة والسخرية من الناس والنميمة والكِبر والعُجب والحسد وغير ذلك من أحوال النّفس الذميمة[243]؛ يقول الإمام الغزالي .رحمه الله : الصوم إلزام النّفس بغض البصر عن كل ما يذم ويُكره، وحفظ اللسان عن كل ذميمة وفاحشة، وكفُّ السمع عن كل ما يكره ويحرم، وكفُّ اليد والقدم عن المكاره، وكفُّ البطن عن الإفطار على الحرام، وإبقاء القلب بعد الإفطار معلقاً بين التذلل والرجاء لربه[244]، وبيان ذلك كله في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(183) [245]؛ حيث أنه تعالى أمر بفرض الصيام مع ذكر الحكمة منه، وهي تقويم نفس الإنسان كما يذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره للآية: (هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالا لأمره واحتساباً للأجر عنده ، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه ، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه.. فليس الصيام في الإسلام لتعذيب النفس لذاته بل لتربيتها وتزكيتها ؛لأنه يعدنا للسعادة بالتقوى، وأن الله غني عنا وعن عملنا، وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا..وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأناً، وأنصعها برهاناً وأظهرها أثراً، وأعلاها شرفا أنه أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى، وسر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ، ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة، وغير ذلك كزينة زوجة أو جمالها الداعي إلى ملابستها أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق لها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، ولسعادتها في الآخرة وكما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضاً، أنظرهل يقدم من تلابس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟

---

[241] ينظر: اللمع للطوسي: ص153-154.

[242] ينظر: الوصايا للمحاسبي: ص379 .

[243] ينظر: سر الأسرار للجيلاني: ص58 .

[244] ينظر: إحياء علوم الدين: (277/1 وما بعدها) .

[245] سورة البقرة: آية 183.

هل يسهل عليه أن يراه الله آكلاً لأموالهم بالباطل؟ هل يحتال على الله تعالى في منع الزكاة وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه؟ وهل يحتال على أكل الربا؟ وهل يقترف المنكرات جهاراً؟ هل يجترح السيئات ويسدل بينه وبين الله ستاراً؟ إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي; إذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى، وإذا نسي وألم بشيء منها يكون سريع التذكر قريب الفيء والرجوع بالتوبة الصحيحة، فيكون الصيام أعظم مرب للإرادة ، وكابح لجماح الأهواء ، فأجدر بالصائم أن يكون حراً يعمل ما يعتقد أنه خير، لا عبداً للشهوات، فإنما روح الصوم وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة ، وهذا هو معنى كون العمل لوجه الله تعالى، وذكر بعضهم: أن الصوم يكسر الشهوة بطبعه فتضعف النفوس ويعجز الإنسان عن الشهوات والمعاصي؛ لأن المراد أن تأثيره في تربية النفس وتقوية الإيمان يجعل صاحبه مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة.. ومن وجوه إعداد الصوم للتقوى أن الصائم عندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتا فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة، ومن فوائد عبادة الصيام الاجتماعية المساواة فيه بين الأغنياء والفقراء والملوك والسوقة، ومنها تعليم الأمة النظام في المعيشة، فجميع المسلمين يفطرون في وقت واحد لا يتقدم أحد على آخر دقيقة واحدة وقلما يتأخر عنه دقيقة واحدة، وأعظم فوائده كلها الفائدة الروحية التعبدية المقصودة بالذات، وهي أن يصوم لوجه الله تعالى ولا أشك في أن من يصوم على هذا الوجه يكون راضياً مرضياً، مطمئناً بحيث لا يجد في نفسه اضطراباً ولا انزعاجاً)[246].

رابعاً: تقويم النّفس الإنسانية بالزكاة روحاً ومادة؛ وصورة ذلك: أن مادة الزكاة أخذ نصاب أموال الأغنياء ودفعها للفقراء، وهي فريضة على كل مسلم تتوافر فيه شروطها، يؤديها طواعية طاعة وعبادة لله أو جبراً إمتثالاً لأمر الله[247]، أما الصورة الروحية ففي زكاة المال تطهير للنفوس وتنقية لسريرة من الأوصاف الذميمة كالبخل والحرص والشح والطمع والأنانية، وفيه صيانة للنفس من الصفات القبيحة كالحقد والبغض والكراهية[248]، يقول الماوردي: (أداء الزكاة يمرن النّفس على السماحة المحمودة؛ لأن السماحة تبعث النّفس على أداء الحقوق والشح يصد عنها)[249]، (ومن فوائد دفع الزكاة - كما يقول إبن قدامة – أنها إبتلاء مدعي محبة الله تعالى، وإخراج محبوبه وتنزيهه عن صفة البخل المهلك وشكر نعمة المال)[250]، وفيها طهارة للقلب والنّفس من ذميمة الشّح، وغريزة الأنانية وحب الذات[251]، كما وتستلزم الزكاة الطهارة؛ لأن في

---

[246] تفسير المنار: (116/2) .

[247] ينظر: نظرات في الإسلام، د. محمد عبدالله دراز، المكتبة الفنية، الطبعة الأولى لسنة1958م، ص33-34، والزكاة وأثرها التربوي، لرقية سعيد، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك/كلية الشريعة الإسلامية، لسنة 1996م، ص98 .

[248] ينظر: أثر الزكاة في العلاقات الإنسانية، لمحمد عباس عرابي، مقال على الشبكة العنكبوتية على الرابط: https://www.alukah.net/authors/view/home/6251/

[249] أدب الدنيا، لعلي بن محمد الماوردي، دار الفكر- بيروت، ص98 .

[250] مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن قدامة، دار الهجرة- بيروت لسنة1986م، ص92 .

[251] ينظر: العدالة الاجتماعية في الإسلام، لسيد قطب، ص114 .

معناها معنى الطهارة[252]؛ قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا [253]، وقد جاء في تفسيرها: (إن كل من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربى؛ فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغذية المصلحة له والحمية عما يضره، فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه، ومنع ما يضره، فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو، ولا يتم صلاحه إلا بذلك، ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير لا يحصله به تمام المقصود، وكذلك الزرع لا يتم إلا بهذين الأمرين، فحينئذ يقال: زكا الزرع وكمل، ولما كانت حياته ونعيمه لا تتم إلا بزكاته وطهارته لم يكن بد من ذكر هذا وهذا..فجمع بين الأمرين: الطهارة والزكاة، لتلازمهما؛ فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، وبمنزلة الدغل في الزرع، وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد، فكما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة تخلصت القوة الطبيعية منها فاستراحت، فعملت عملها بلا معوق ولا ممانع، فنما البدن، فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت إرادة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة)[254].

خامساً: تقويم النّفس الإنسانية بركن الحج بدنياً وروحياً؛ وصورة ذلك: (أنهم إذا نزعوا ثيابهم للإحرام؛ نزعوا كذلك عن أسرارهم عوالق الدنيا وحلّوها عن قلوبهم، وتكون التلبية لهم توبة عن إجابة أي داعٍ من دواعي النّفس والشيطان والهوى، فإذا نظروا إلى البيت بأعين رؤوسهم، نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إليه، حتى إذا طافوا بالبيت أحضروا في قلوبهم التعظيم والخوف والرجاء والمحبة..فإذا سعوا بين الصفا والمروة تذكروا ترددهم بين كفتي الميزان في عرصات القيامة، ناظرين إلى الرجحان والنقصان ما بين العذاب والغفران، كما يمثل عندهم الوقوف بعرفة بما فيها من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات، عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم، فيلزمون قلوبهم الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل، وعند كسرهم الحجارة للرمي فإنهم يكسرون معها إرادت بواطنهم وشهوات أسرارهم، حتى إذا رموها أحسنوا الأدب ونظروا إلى أعمالهم وتذكروا حال إبراهيم الخليل - عليه السلام – حين عرض له الشيطان فرماه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله، فإذا حلقوا رؤوسهم فأدبهم أن يحلقوا عن بواطنهم حب الثناء والمحمدة، وصولاً إلى ذبح الهدي الذي يبدءون فيه بذبح شرور نفوسهم، وهذا هو حالهم في سائر شعائر الحج)[255]، فروح الحج؛ (ملازمة الذّكر باللسان، وملاحظة معناه حتى تحصل حياة القلب له، ثم يشتغل بذكر الباطن حتى يصفيه..وتبديل السيئات إلى الحسنات، والعتق من التصرفات النفسانية، ثم الأمن من الخوف والحزن)[256]؛ قال تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى

---

[252] ينظر: مكارم الأخلاق، لإبن تيمية، دار الخير، بيروت لسنة1994م، ص92 .

[253] سورة التوبة: آية 103 .

[254] إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لإبن القيم:(46/1) .

[255] اللمع للطوسي: ص171-174، وينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (314/1)، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ص32 .

[256] سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني: ص59 .

كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) [257]، وفي تفسيرها يذكر إبن عربي - رحمه الله-: (الدعوة إلى مقام القلب وزيارته، مجرّدين عن صفات النفوس ، بطول الرياضة والمجاهدة.. ليشهدوا منافع من الفوائد العلمية والعملية المستفادة من مقام القلب، والعمل بصفاته سبحانه.. وأفيدوا البائس الطالب القوي النفس، الذي أصابه شدّة من غلبة صفاتها واستيلاء هيئاتها للتهذيب والتأديب، والفقير الضعيف النفس، القديم العلم، الذي أضعفه عدم التعليم والتربية المحتاج إليها..وفي الجملة: بقايا تلوينات النفس ..فقضاء التفث التزكية وإزالة الموانع والإيفاء بالنذور والتحلية وتحصيل المعارف .. ومن يعظم حرمات الله وهي مالا يحل هتكه وتطهيره والقربان بالنفس وجميع ما ذكر من المناسك كالتحلي بالفضائل، واجتناب الرذائل، والتعرّض للأنوار في التجليّات، والاتصاف بالصفات، والترقي في المقامات؛ فهو خير له في حضرة ربّه ومقعد قربه)[258].

وتقويم النّفس عن طريق ما تقدم باعثه المخافة من سخط الله، والطمع في رضوانه، جاء في شفاء النّفس: (النّفس لا تصبر على حرمانها مما تشتهي إلا إذا أيقنت بوعد صادق أنها ستعوض بما هو خير وأبقى، ومثلها في ذلك كمن افتقد دراهمه فاشتد حزنه وضاق ذرعاً، فإذا آتاه من يخبره بأنه سيعطيه أضعاف ما فقد إطمأن وانشرح صدره وتحول الحزن إلى سرور، وهكذا شأن المجاهدة - تقويم النّفس – يعاني صاحبها من شدائدها في بادئ الامر، فإذا ارتقى إيمانه وازداد يقينه بوعد الله سبحانه في عظيم اجره سارع بنشاط إلى متابعة الطريق حتى ينتصر على نفسه فيحس بلذة الظفر ويتذوق حلاوة الإيمان .. - وسلوك التقويم - أن يبتعد عن مواطن المعاصي والمنكرات، ومجالس اللهو ورفاق السوء، فهي كالأمراض المعدية إذا خالطها تأثر بها ولو بعد حين، وينبغي على المجاهد نفسه أن يتدرج في المجاهدة، فلا يحاسب نفسه الآمارة في ساعة من الزمن، كأنه يريد أن ينقض عليه انقضاضاً حتى تتخلى عن جميع الصفات المذمومة وتتحلى بالصفات المحمودة دفعة واحدة، فإن هذا مخالف لطبيعة البشر، بل لا بدّ له من تقوية الهدف الباعث لذلك ثم العزم والتصميم والثّقة في النّفس، وعدم التردد حتى يحصل الهدف ويصبح ذلك ملكةً وطبعاً مألوفاً، وهذا الإسلوب في المجاهدة هو الذي اتبعه الإسلام في تحريم الخمر والربا وغيرهما من المنكرات التي كانت متأصلة في النّفوس، أما إذا رأى العبد من نفسه ميلاً إلى المعاصي وتقصيراً في الطاعات ولم تطاوعه نفسه على سلوك طريق الحق؛ فعليه المبادرة إلى معاقبتها بعقوبة مشروعة حتى تنزجر وتستقيم كما يعاقب الأب ولده العاصي لتاديبه وتربيته)[259]، هذا ويتوجب على من أراد أن يقوّم نفسه ويهذبها (أن يبدأ بمعرفتها أولاً - كما يقول الإمام التستري رحمه الله – فلا يصح له أدب النّفس والضبط إلا بعد المعرفة بنفسه ومساوئها، فعندما

---

[257] سورة الحج: آية 27-28 .

[258] ينظر: تفسير إبن عربي: (51/2) .

[259] ينظر: شفاء النّفس لكرزون: ص217-233 .

يؤدب نفسه يصلح له الأدب)[260]، وفي كيفية معاقبتها أجاب المحاسبي - رحمه الله – قائلاً: (تفرق بينها وبين محابها، وتأخذ سوط الخشية لها، بدوام الرعاية لها في سعيها، وتضاعف عليها أورادها، وتزيد كدّها، وتنقص من غذائها، وتقطعها عن ملاذها، وتجرعها غيظ التهديد زجراً لها، حتى يغلب سلطان رعايتك سلطان كبرها)[261]، لكن وكما أشرنا لا بدّ أن ينتبه السالك في طريق تقويم نفسه على ضرورة الإلتزام بالاعتدال في ذلك؛ بما لا يؤدي بالنّفس إلى إرهاقها ولا يصل بها إلى السّامة والملل، كما في جاء في الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السّامة علينا)[262]، وذلك يكون بترويحها بين الوقت والآخر ببعض من المباحات لتقوى بها على الصبر والطاعات[263] .

ولا بد في خضم معركة تقويم الإنسان لنفسه أن تكون عاقبتها إحدى الحالات التي وصفها لنا الإمام إبن القيم - رحمه الله – بقوله: (الأولى: تغلب داعي الدين على داعي الهوى - وهي عاقبة الخير لصاحبها -، وهذا الظفر لا يصل العبد إليه إلا بدوام المجاهدة والصبر حتى تتزكى النّفس وتسمو، والثانية: تغلب داعي الهوى على باعث النّفس - وهي عاقبة الخسران لصاحبها-؛ وذلك عندما تكون المجاهدة متراخية أو ضعيفة، فتكون الغلبة لداعي الهوى، ويستسلم البائس للشيطان وجنده حتى يكون تابعاً لهم، وقد تغلب عليه شهوته ويشتري الحياة الدنيا بالآخرة حتى يصبر الشيطان من جنده، وهذه حال الفاجر القوي المتسلط، والثالثة: أن تكون الحرب سجالاً بين المرء وهواه؛ فتارة له وتارة عليه، هذه حال أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وعندها ينبغي عليه إلا ينفذ صبره ويستسلم لشرور نفسه، وإنما يصر على المضي إلى هدفه، ويسارع إلى الإستقامة كلما تعثر، ويضع نصب عينيه عقبى المتقين وعقبى الفجار في دار الآخرة، مما يزيد صبره على المجاهدة خوفاً من عذاب الله تعالى ورجاءً لرحمته)[264].

المطلب الثاني

أثر تقويم النّفس الإنسانية على الفرد والمجتمع

لما كان الإنسان خليفة الله على الإرض كان حرياً به أن يتصف بصفات الخير ويبتعد عن صفات السوء؛ وإذا ما تحرى الإنسان في حياته تقويم نفسه في كل صغيرة وكبيرة صار جديراً بخلافته هذه؛ وذلك لأن تقويم الإنسان لنفسه يستدعي صلاحه في ذاته ومع الآخرين، نتيجة ما اكتسبته نفسه من ثروة أخلاقية عالية مليئة بالاستقامة في دينه ودنياه؛ كما في الحديث: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[265]، ولما تعمق في نفسه من فضيلة الصدق، وحفظ اللسان عن كل

---

[260] من التراث الصوفي للتستري: (323/2).

[261] الوصايا : 231 .

[262] صحيح البخاري: (25/1)، في باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم.

[263] ينظر: شفاء النّفس لكرزون: ص226 .

[264] عدة الصابرين: ص27-30 .

[265] مسند الإمام أحمد بن حنبل: (198/3) .

ذميمة من كذب ونفاق ونميمة ونحوها، كما وإن من شأن تقويم النّفس أن تجعل من صاحبها فرداً عفيفاً، عدلاً، غاضاً لبصره، حافظاً جوارحه عن الآثام، مؤدياً ما عليه من واجبات، محباً لإخوانه، فضلاً عن ذلك فهي تورث الفرد الحكمة والوقار والشهامة والحياء والسخاء والمسامحة والورع والبعد عن الطمع والقناعة ومساعدة الآخرين، وأمثالها من الأخلاق المحمودة[266].

وبالتالي فإن تواجد أمثال هذه الأفراد في مجتمعاتهم يتصفون بمثل هذه الأخلاق والمبادئ؛ يتكون: (المجتمع الذي يهدف إليه الإسلام ويرضاه الله ورسوله، فبهؤلاء الأفراد وعن طريق دعوتهم وأساليب غرسهم للآداب والأخلاق تبنى المجتمعات على أساس منهجي إسلامي قائم على السلوك والتوجيه والمتابعة، والشعور بالمسؤولية، ومراقبة الله تعالى وخشيته، فتسود القيم الأصيلة، والفضائل الأخلاقية، والمبادئ الإسلامية المثالية السامية، كالإخوة، والمساواة، والإيثار، والتعاون، والتواد، والتراحم، والمحبة في الله، والاتحاد وجمع الكلمة، ومن شأن هذا كله أن يكون سداً منيعاً وقوة تكبح جماح ما يواجهه المجتمع من تيارات مادية وتحديات فكرية تحاول تفكيك أواصر هذا المجتمع الإسلامي المتوحد بأفراده، فضلاً عن أن هذا يؤدي إلى حلّ المنازعات والقضاء على السلوك السلبي بين بعض الأفراد، وإصلاح نفوسهم، وتهذيبهم، وتحويلهم، من عناصر شر داخل المجتمع إلى عناصر خير، فيقام السلام والامن في ربوع البلاد)[267]، إذن فبرجوع الأفراد إلى مبادئ إسلامهم وقيم دينهم، واتبعوا خطوات تقويم أنفسهم حتى تصبح كل حياتهم بحسب ما أراده الله منهم؛ فيقيناً سيكون لهم ولمجتمعهم كل سبل الخير، قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(64) [268]، فيحظون بذلك حالاً رفيعة من الأمان وطمأنينة العيش وسكوناً يعضده أمن صحيح شبيه بالعيان، ثمرات لا يحظى بها إلا من قوي إيمانه فرجح عقله، وصفت نفسه وضبطت دواعي شهوته[269]، قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(28) [270].

نجد مما تقدم أن تقويم النفوس بشرع الله وقيم الإسلام؛ يمثل بنيان متين لقيام مجتمع إسلامي متماسك يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والقيم السامية وتحقيق قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ [271].

الخـاتمـة

---

[266] ينظر: الأربعين في أصول الدين للإمام الغزالي: ص137 .

[267] العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية، لنظام الدين عبد الحميد، مكتبة القدس، بغداد لسنة 1985م، ص62،63، وينظر: علم التصوف وأثره في العبادات، د. منى ياسين الرفاعي، مطبعة ديوان الوقف السني، بغداد، الطبعة الأولى لسنة 2009م، ص257 .

[268] سورة يونس: 63 -64 .

[269] ينظر: مدارج السالكين لإبن القيم: (512/2)، واللمع للطوسي: ص68 .

[270] سورة الرعد: آية 28 .

[271] سورة آل عمران آية 110 .

بعد حمد الله والثناء عليه؛ أذكر أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج؛ وكالآتي:

1. إن لفظ (تقويم) أصله الإستقامة، ومعانيه متنوعة؛ وهي تناسب الموضوع؛ فهي إعتدال النفس، والمحافظة على اتزانها، وثقافها بتقويم اعوجاجها، وتوجيهها إلى جادة الصواب، وحملها على العدل، والإخذ بها إلى تمام أمرها، والسير بها على النظام، وثباتها على الصلاح والخير .
2. التقويم اصطلاحاً: تقدير الشيء وإعطاؤه قيمة ما، والحكم عليه وإصلاح إعوجاجه.
3. للتقويم في اللغة ألفاظ توافق معناه، وفي العقيدة والشرع ما يتصل بمصطلح التقويم في القصد والغاية، منها: التهذيب، التزكية، الترويض، الإصلاح، المجاهدة، التطهير .
4. النفس في أصل اللغة معانيها متنوعة؛ وتناسب الموضوع فهي حقيقة الإنسان، وما يصيبها من العَظَمة والكِبر، والعاطفة التي تسيطر عليه، وضميرها الحي، والخُلُق الواجب أن تتحلى به، ورّوعها المطمئن بالإيمان، والإنسان الذي يُقَيَم بها، والبعد بينها وبين السوء، والتوسع بصلاحها، والإباء عمّا يدنيها، والأنفة عمّا يحقرها، والإمتداد في الخير، والزيادة من التنزيه، وعقوبتها إذا زلّت .
5. النّفس الإنسانية هي قوى العقل والشهوة والغضب، الاعتدال فيها فضيلة وإطرّافها رذيلة.
6. النّفس الإنسانية بين منزلتي الخير والشر اللتين بذاتهما يستدعيان تذبذب النّفس الإنسانية طيلة حياتها الدنيا بين مستويات متعددة: إما في تزكيتها إلى بلوغ منتهاها، أو في ضلالها إلى وصول قاع فسادها؛ وهذا مما جعل النّفس الإنسانية تقسم في عقيدة الإسلام على مراتب؛ وأحصاء هذه الصفات يختلف بحسب كيفية تقسيمها .
7. السّوء في النّفس إذا ما أُطلق تولدت منه آفات ذميمة تَمرُضُ بها النّفس الإنسانية قد ورد ذمّها والنهي عنها في القرآن الكريم .
8. من أساليب التقويم للنّفس الإنسانية في الإسلام ما شرعها الله سبحانه لتكون في أركان الدين الخمسة روحاً وعملاً .
9. على السالك في طريق تقويم نفسه ضرورة الإلتزام بالاعتدال في ذلك؛ بما لا يؤدي بالنّفس إلى إرهاقها ولا يصل بها إلى السّامة والملل .
10. تقويم النفوس بشرع الله وقيم الإسلام؛ يمثل بنيان متين لقيام مجتمع إسلامي متماسك يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والقيم السامية .

المصادر

القرآن الكريم

1. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(ت911هـ)، بيروت ط1، 1407هـ=1987م .
2. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت505هـ)، تحقيق: محمد ثامر،القاهرة1987م.
3. أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط3،2004م.
4. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي بكر الزرعي، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة، ط2.
5. الإشارات النّفسية في لقرآن الكريم، د. لطفي الشريفي، مصر، مطبعة المعارف،2008م.
6. بصائر ذوي التمييز، لمجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: محمد النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
7. تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار الفراج، الكويت، 1385م .
8. تربيتنا الروحية، لسعيد حوى، مطبعة دار السلام .
9. التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الآبادي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1.
10. تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار -، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م.
11. تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين بن كثير، دار طيبة، الرياض،ط3، 1999م.
21. تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت1983م.
22. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت/ لبنان .
23. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد المناوي، تحقيق: د. محمد الداية، دار الفكر،ط1.
24. تفسير الدر المنشور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
25. تفسير جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت1988م.
26. تفسير الكشاف، لجار الله الزمخشري، تحقيق: مصطفى حسين، دار التراث العربي،ط3.
27. تفسير فتح القدير، لمحمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1983م .
28. حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، العراق،الرمادي،1993م.
29. الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، مطبعة منير، بغداد.
30. الروح في الكلام، لأبي عبد الله محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت1975م.
31. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد الزرعي، مؤسسة الرسالة،ط4.
32. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله القزويني، دار الفكر،بيروت1986م .
33. سنن أبي داود، لسليمان أبو داود الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت.
34. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3.
35. صحيح البخاري: لأبي عبدالله البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت2001م.
36. صحيح المسلم، للإمام مسلم، المكتبة العصرية، بيروت2004م.

37. عدة الصابرين، لأبن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق،ط3، 1998م .
38. قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي، دار صادر، بيروت.
39. القاموس المحيط، لمجي الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة،بيروت1987م.
40. لسان العرب، لابي الفضل غبن منظور، دار صادر، بيروت1990م.
41. محاسبة النّفس، لابن أبي الدنيا، تحقيق: مجد السيد، مصر، القاهرة.
42. مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب، بيروت.
43. مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة،ط1، 1995م.